

الكتاب: الأعلام من الصحابة والتابعين

المؤلف: الحاج حسين الشاكري

الجزء: ٥

الوفاء: معاصر

المجموعة: من مصادر العقائد عند الشيعة الإمامية

تحقيق:

الطبعة: الثانية

سنة الطبع: ١٤١٨

المطبعة: ستارة

الناشر: المؤلف

ردمك:

ملاحظات:

سلسلة
الأعلام من الصحابة والتابعين (٥)
قيس بن سعد بن عبادة
هاشم المرقال
رشيد الهجري
تأليف
حسين الشاكري

هوية الكتاب
اسم الكتاب: سلسلة الصحابة والأعلام
تأليف: حسين الشاكري
الطبعة: الثانية سنة ١٤١٨ هـ . ق
الكمية: ٣٠٠٠ نسخة
المطبعة: ستاره
الفلم والألواح الحساسة: تيزهوش
الناشر: المؤلف
صف الحروف: علي المولوي
عنوان المؤلف
الجمهورية الإسلامية الإيرانية - قم المقدسة
زنبيل آباد ٣٠ متري آستانة پلاك ٧٦
كد البريد ٣٧١٦٦
هاتف ٩٢٦٩٩٠ و ٩٢٧٨٧١ - كد ٠٠٩٨٢٥١

بسم الله الرحمن الرحيم
* (إن الله مع الذين اتقوا * والذين هم محسنون) * (١)

قيس بن سعد بن عبادة

الحواريون

خريجو مدرسة: الرسول الأعظم: وأمير المؤمنين

صلوات الله عليهم أجمعين

(١) النحل: ١٢٨.

المقدمة

لقد دأب معاوية من خلال تسلطه على الحكم أن يمارس شتى أساليب التعسف والإبادة لشيعة علي (عليه السلام) وملاحقتهم بالقتل وقطع الأيدي والأرجل وسمل العيون، وبقر البطون، وصلب الأجساد العارية على جذوع النخل، والتشريد، وحرق البيوت وهدمها على أصحابها وما إلى ذلك من أنواع سبل الإبادة والاستئصال لشيعة علي (عليه السلام) ومواليه كما دأب على إجرامه، وحاك على منواله، حكام بني أمية، وبني مروان وبني العباس.

ولم يسلم من هذا التنكيل حتى الشيوخ والنساء، والأطفال والمرضى، وخاصة البارزين منهم وعوائلهم أمثال حجر بن عدي، وميثم التمار، ورشيد الهجري، وعمرو بن الحمق الخزاعي وغيرهم مما يطول ذكرهم.

والمنفذ لهذه الأعمال الإجرامية في صيتها زياد الخزي
والعار ابن سمية وابن مرجانة.
واستطاع معاوية بهذه القسوة والأساليب
الوحشية أن ينشر الرعب والخوف والهلع على عامة
المؤمنين، خاصة أهل الكوفة والبصرة، وأن يحد من
تجاهر الكثير منهم بالتشيع والولاء وإضعاف معنوياتهم
إلى حد كبير، بحيث أن الواحد منهم يرضى أن يتهم بالقتل
والسرقة أو الزندقة أو أي جريمة أخرى ولا يتهم بالتشيع
لعلي (عليه السلام) ومذهبه وموالاته.
وعلى رغم كل تلك الممارسات الوحشية وسبل
الإبادة ما استطاع استئصال جذور التشيع من قلوب
المؤمنين وعقولهم، ولا إطفاء جذوة الحب والولاء
لعلي (عليه السلام) وأهل بيته، وظل رمز التشيع الذي يجسد جوهر
الإسلام الحقيقي الأصيل يسير وينتشر على مر العصور
والأزمان مستهينا بكل ما يجري عليه من العناء ومتحديا
الصعاب والعذاب الذي يمارسه حكام الظلم والجور

ضده.

وسن سب علي (عليه السلام) وشتمه من علي منابرهم طيلة ألف شهر. وفرض البراءة من علي (عليه السلام) ودينه واللعن علي شيعته ومحبيه، حتى نشأت عليه أجيال، وغرس جذور العداة بين المسلمين، وكأنهم بذلك يدفعون به إلى عنان السماء، ويرفعونه عالياً حتى أصبحت أقدامه فوق رؤوسهم.

قال الشافعي: لما سئله أحد أصحابه عن علي بن أبي طالب (عليه السلام) (١): ما أقول في رجل أسر أولياءه مناقبه تقية، وكتمها أعداؤه حنقا وعداوة، ومع ذلك فقد شاع ما بين الكتمانين ما ملأ الخافقين؟

سئل الخليل بن أحمد الفراهيدي (٢)، لم هجر الناس عليا (عليه السلام)، وقرباه من رسول الله (صلى الله عليه وآله)؟

(١) الكنى والألقاب ترجمة الشافعي.

(٢) سفينة البحار مادة خلل.

قال: ما أقول في حق امرء كتمت مناقبه أولياؤه
خوفاً، وأعداؤه حسداً، ثم ظهر من بين الكتمانين ما ملأ
الخافقين؟
وسئل أيضاً، ما الدليل على أن علياً (عليه السلام) إمام الكل
في الكل؟ قال: احتياج الكل إليه واستغنائه عن
الكل.

وقد نظم السيد تاج الدين الحلبي هذا المعنى في قوله:
لقد كتمت آثار آل محمد * محبوبهم خوفاً وأعداؤهم بغضا
فأبرز من بين الفريقين نبذة * بها ملأ الله السماوات والأرضاً
وقال عامر بن عبد الله بن الزبير (١): لابن له
ينتقص علياً (عليه السلام):

(١) علي في الكتاب والسنة ج ٣ ص ٢٣٩ ح ٢٢، وهناك أحاديث
قبله وبعده فراجع.

يا بني إياك والعودة إلى ذلك، فإن [بني أمية] وبني مروان شتموه ستين سنة، فلم يزد الله بذلك إلا رفعة. وإن الدين لم يبين شيئاً فهدمته الدنيا، وإن الدنيا لم تبين شيئاً إلا عاودت على ما بنت فهدمته. ومن هذا المنطلق، وعرفانا بفضل أولئك الصفوة الذين قدموا أنفسهم وما يملكون من غال ونفيس قربانا على مذبح الحرية والعقيدة، والدين والولاء الصادق، للرسول الكريم وأهل بيته الطاهرين (صلى الله عليه وآله) وما أخذتهم في الله لومة لائم. حتى استطاعوا أن يظهروا الحق، ويرسخوا دعائم الدين الحنيف وشريعة السماء، ويفضحوا أساليب الطامعين في الحكم، والمنافقين في الدين، ويكشفوا حقيقتهم الكافرة الحاقدة.

وقد اختصرت على تراجم عدد منهم في هذا الكراس وسندكر الآخرين في كراسات متتالية ضمن سلسلة "الأعلام: من الصحابة والتابعين".

ومنه سبحانه وتعالى استمد العون والتسديد فإنه

أرحم الراحمين.
وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين والصلاة
والسلام على خير خلقه محمد وآله الطاهرين.
العبد المنيب
حسين الشاكري
دار الهجرة - قم المقدسة
الفتاح من شهر محرم الحرام سنة ١٤١٨ هـ

قيس بن سعد بن عبادة
أبوه سعد بن عبادة دليم الخزرجي الأنصاري،
سيد الخزرج، بل وزعيم الأنصار بلا منازع، رشح من
قبل الأنصار للخلافة بعد رسول الله (صلى الله عليه وآله).
أمه فكيهة بنت عبيدة بن دليم.
كان ضخيم الجسم، مديد القامة طويلاً، حسن
الوجه والهندام، إذا ركب المطهم خطت رجلاه الأرض.
كان من رسول الله (صلى الله عليه وآله) بمنزلة صاحب الشرطة
للأمير - خدمه طيلة مكوثه بالمدينة بعد الهجرة " عشر
سنين " - .
أعطاه النبي (صلى الله عليه وآله) اللواء يوم فتح مكة، بعد أن
أخذها من أبيه سعد، وكان قيس وأبو وجده من أجود
العرب، وكان لكل واحد منهم مناد يدعو الناس إلى
طعامه، ولم يتفق هذا التسلسل من الكرم لغيره.

وكان من المنقطعين إلى الإمام علي (عليه السلام) ولاة مصر
فضبطها على أحسن ما يكون.

كان من ذوي الرأي والبصيرة، وكان من دهات
العرب الخمسة، توفي بالمدينة المنورة سنة ٦٠ هـ.
جيش العسرة

في السنة الثامنة من الهجرة أرسل النبي (صلى الله عليه وآله) جيشا
إلى ساحل البحر سمي بجيش العسرة، وكان عددهم ثلاثمائة
رجلا من وجوه الصحابة من المهاجرين والأنصار، وأمر
عليهم أبا عبيدة بن الجراح، فأصاب الجيش في هذه
الغزوة جوع شديد وعناء، حتى اضطر الجيش إلى أكل
الخبط وأوراق الأشجار، ولهذا سميت هذه الغزوة - بغزوة
الخبط -.

ولما رأى قيس بن سعد ذلك ما أصاب الجيش من
العسرة والجوع أنفق عليهم جميع ما يملك حتى نفذ ما عنده

فاستدان وقال: من يشتري مني تمرا بجزر، يوفيني الجزر هاهنا وأوفيه التمر بالمدينة؟ فوجد رجلا من جهينة فساومه فقال: والله ما أعرفك من أنت؟ قال: أنا قيس بن سعد بن عبادة الأنصاري، قال الرجل: ما أعرفني بنسبك، أما أن بيني وبين سعد خلة، وهو سيد يثرب، فابتاع منه خمس جزر، وقيل تسعة جزر، كل جزور يوسق (١) من التمر فشهد له نفر من الأنصار، ونفر من المهاجرين، فلم يشهد عمر بن الخطاب بذلك، فقال: لا أشهد، هذا يدان ولا مال له، إنما المال لأبيه، فكان بين قيس وعمر كلام حتى أغلظ له قيس القول وقال: أترى أبا ثابت " يعني أباه سعد " يقضي ديون الناس ويطعم في المجاعة ولا يقضي ديننا استدنته لقوم مجاهدين في سبيل الله؟

قال الجهني: والله ما كان سعد ليخني بابنه في وسق

(١) الوسق حمل بغير.

من تمر وأرى وجهها حسنا وفعالا شريفا فأخذ قيس الجزر
فنحرها لهم في ثلاث مواطن كل يوم جزور، فلما كان
اليوم الرابع نهاه أميره " أبو عبيدة " وقال: تريد أن تخفر
ذمتك ولا مال لك؟

قال ابن خديج: لما بلغ سعدا ما أصاب الجيش من
المجاعة، قال: أن يك قيس كما أعرفه فسوف ينحر للقوم،
فلما قدم قيس وقص على أبيه ما كان من نحر الجزر، فقال
سعد: لولده قيس هذا ما كنت آمله فيك، لك أربع حوائط
" بساتين " أدناه يتحصل منه خمسون وسقا، وأشهد على
ذلك أبا عبيدة، وأبا بكر، وعمر، ووفى قيس للجهمي
صاحب الجزر وأعطاه ما يحمله وكساه.
وقيل أن سعدا: ما يعذرني من ابن الجراح، وابن
الخطاب، يبخلان علي ابني.
ولما بلغ النبي (صلى الله عليه وآله) ما فعله قيس قال: " إنه بيت

جود إن الجود لمن شيمة أهل ذلك البيت " (١).
قال محمد بن سعد في الطبقات: لما انصرف رسول
الله (صلى الله عليه وآله) من الجعرانة سنة ثمان بعث قيس بن سعد إلى
ناحية اليمن وأمره أن يطاء صداء " قبيلة من اليمن " فعسكر
بناحية قناة في أربعمائة مقاتل من المسلمين، وقدم رجل
من صداء فسأل عن ذلك البعث فأخبرهم فخرج سريعا
حتى ورد على رسول الله (صلى الله عليه وآله) فقال جئتكم وافدا على من
ورائي، فأردد الجيش وأنا لك بقومي، فردهم رسول
الله (صلى الله عليه وآله) فقدم منهم بعد ذلك على رسول الله (صلى الله عليه وآله)
خمسة

عشر رجلا فأسلموا وبايعوه على من ورائهم من قومهم
ورجعوا إلى بلادهم، ففشا فيهم الإسلام، فوافى النبي (صلى الله عليه وآله)
مائة رجلا منهم في حجة الوداع.
وكان من دعاء قيس، اللهم ارزقني حمدا ومجدا
وشكرا، فإنه لا حمد إلا بفعال، ولا مجد إلا بمال: اللهم وسع

(١) مغازي الواقدي: ٧٧٦.

علي فإن القليل لا يسعني ولا أسعه (١).
توفي سعد عن حمل لم يعلم به، فلما ولد، وقد كان
سعدا قد قسم ماله في حين خروجه من المدينة بين
أولاده، فكلم عمرو في ذلك قيسا وسأله أن ينقص ما
صنع سعد تلك القسمة، فقال قيس نصيبي للمولود الجديد
ولا أغير ما صنع أبي ولا أنقصه (٢).

ومن المشهور أن قيس بن سعد، كان له مال كثير
ديونا على الناس، فمرض واستبطأ عواده وإخوانه فسأل
عن سبب ذلك؟ ف قيل له: إنهم يستحيون مما لك عليهم من
الديون، فقال: أخزى الله ما يمنع الإخوان من العيادة، ثم
أمر مناديا فنادى في الناس، ألا من كان لقيس بن سعد
عليه دين أو حق فهو منه في حل وسعة، فأتاه الناس حتى
هدموا درجه التي كانوا يصعدون عليها إليه (٣)، وجاءته

(١) الغارات: ١٤٠.

(٢) الاستيعاب: ج ٣ / ٢٣٠.

(٣) الاستيعاب: ج ٣ / ٢٣٠.

عجوز كانت تألفه، فقال لها كيف حالك؟ فقالت: ما في بيتي جرد، فقال لها ما أحسن ما سألت، لأكثرن جرد بيتك وقال املؤا بيتها خبزا ولحما وسمنا وتمرا. كان قيس شجاعا كريما، طوالا جدا فهو أمد الناس قامة، وما في وجهه طاقة شعر، ومع ذلك كان جميلا، وكانت الأنصار تقول: " وددنا لو نشترى بأموالنا لحية لقيس ".

وكان من دهات العرب في زمانه ومن أهل الرأي والمشورة والمكيدة في الحرب، ومن أهل النجدة، والشجاعة، والسخاء، وكان شريف قومه غير مدافع، وكان أبوه وجده كذلك، وكان يقول: " لولا الإسلام لمكرت مكر لا تطيقه العرب " وقال: لولا سمعت رسول الله (صلى الله عليه وآله) يقول: " المكر والخديعة في النار " لكنت من أمكر هذه الأمة.

تكريم النبي (صلى الله عليه وآله) لقيس
كان رسول الله (صلى الله عليه وآله) يكرم سعد بن عبادة، وسعد بن
معاذ، الأنصاريين ويشاورهما في بعض الأمور.
وقد أعطى لواء الفتح الأعظم " يوم فتح مكة "
لسعد بن عبادة، ذلك الفتح المؤزر الذي بشر الله سبحانه
نبيه الكريم (صلى الله عليه وآله) في سورة النصر بقوله: * (إذا جاء نصر الله
والفتح...)*، وكان سعد يحمل الراية وينادي اليوم يوم
الملحمة اليوم تستحل الحرمة، اليوم أذل الله قريشا، فشق
ذلك على قريش وأهل مكة " سواء المسلمين منهم أو
المشركين " فأقبل رسول الله (صلى الله عليه وآله) ومر بالمضييق وكان أبو
سفيان محبوسا هناك فنادى، يا رسول الله أمرت بقتل
قومك كما زعم سعد ومن معه حين مر بنا وهو يقول: اليوم
يوم الملحمة؟ وإني أنشدك الله في قومك، فأنت أبر الناس
وأوصلهم بأهلك، فقال بعض أصحاب النبي الذين

يواكبونه السير من المهاجرين يا رسول الله، لا نأمن
سعدا أن يكون منه في قريش صولة، فقال (صلى الله عليه وآله): يا أبا
سفيان اليوم يوم المرحمة، اليوم تصان الحرمة، اليوم أعز
الله قريشا، وأمر (صلى الله عليه وآله) عليا (عليه السلام) بأخذ الراية من سعد
ودفعها إلى ابنه قيس، وأراد بذلك أن يبر قريشا ولا
يخيب رجاهم، وأملهم، ولا يغضب سعدا أو يقلل من
قدره ولا يخرج اللواء من سعد وبيته حين صار إلى ولده
قيس وهو منه (١).

دهات العرب خمسة: معاوية، وعمرو بن العاص،
والمغيرة بن شعبة، وقيس بن سعد، وعبد الله بن بديل.
اثنين منهم اتبعوا الهدى، وثلاثة اتبعوا الضلال.

(١) تهذيب التهذيب: ج ٦ ص ٤٠٤ انظر إلى عقل رسول
الله (ص) وتديبره، فقد أرضى قريش والمكيين من دون أن يجرح
عواطف الأنصار بشخص سعد، حيث رفعها ابنه.

ولاء قيس للإمام علي (عليه السلام)
كان قيس بن سعد من السابقين الذين رجعوا إلى
أمير المؤمنين (عليه السلام) وأصبح من طليعة شيعته ومواليه، قاتل
تحت لوائه حربي صفين والنهروان وفي حرب الجمل كان
واليا من قبله على مصر، وكان مخلصا له ومناصحا
لأولاده ولم يزل على ذلك حتى توفي في المدينة
سنة ٦٠ هـ (رحمه الله).

ومن ولاء قيس للإمام علي (عليه السلام) وإخلاصه وعرفانا
بقدره، حتى بلغ به الأمر أن خاصم أباه حين ذكر إمامه
مرة كلاما سمعه من رسول الله (صلى الله عليه وآله) في حق علي، فقال
قيس لأبيه: " أنت سمعت رسول الله (صلى الله عليه وآله) يقول هذا الكلام
في علي بن أبي طالب ثم تطلب الخلافة، ويقولوا أصحابك
منا أمير ومنكم أمير؟ والله لا كلمتك من رأسي بعد هذا
كلمة أبدا ".

قيس بن سعد أميراً على مصر
لما قتل عثمان بن عفان سنة ٣٦ هجرية وولي الإمام
علي (عليه السلام) الخلافة دعا قيس بن سعد وقال له: سر إلى مصر
فقد وليتكها، واخرج إلى رحلك، واجمع إليك ثقاتك
ومن أحببت أن يصحبك حتى تأتيها ومعك جنودك، فإن
ذلك أرعب وأرهب لعدوك، وأعز لوليك، فإذا أنت
قدمتها إن شاء الله، فأحسن إلى المحسن، واشتد على
المريب، وأرفق بالعامّة والخاصة، فإن الرفق يمن.
فقال قيس: رحمك الله يا أمير المؤمنين، قد فهمت
مقالتك، لكنني أسير إليها بنفسي وأهلي وأدعي الجند لك،
فإن أنت احتجت إليهم كانوا منك قريباً، وإن أردت أن
تبعثهم إلى وجه من وجوهك كانوا عدة لك، وأنا أصير
إليها بنفسي وأهلي، وأما ما وصيتني به من الرفق

والإحسان، فإن الله سبحانه هو المستعان على ذلك (١).
فخرج في سبعة رجال من أصحابه حتى دخل
مصر، فصعد المنبر، وأمر بكتاب أمير المؤمنين الذي جاء
به فقرأ على أهل مصر...
جاء فيه من عبد الله علي أمير المؤمنين إلى من بلغه
كتابي هذا من المسلمين، سلام عليكم، فإنني أحمد الله
إليكم، الذي لا إله إلا هو، أما بعد فإن الله سبحانه بحسن
صنيعه وقدره وتذكيره، اختار الإسلام ديناً لنفسه،
وملائكته ورسله، وبعث به أنبياءه إلى عبادته، فكان مما
أكرم الله عز وجل به هذه الأمة وخصهم من الفضل أن
بعث محمداً (صلى الله عليه وآله) إليهم فعلمهم الكتاب، والحكمة، والسنة
والفرائض، وأدبهم لكيما يهتدوا، وجمعهم لكيما يتفرقوا،
وزكاهم لكيما يطهروا، فلما قضى من ذلك ما عليه قبضه

(١) انظر إلى إيمانه وثقته العالية بالله، واعتماده على نفسه وتدييره
وحنكته.

الله إليه فعليه صلوات الله وسلامه ورحمته ورضوانه، إلى
أن قال:

ثم جاؤني فبايعوني، وأنا أستهدي الله الهدى
وأستعينه على التقوى، ألا وإن لكم علينا العمل بكتاب
الله وسنة رسوله، والقيام بحقه والنصح لكم بالغيب، والله
المستعان، وحسبنا الله ونعم الوكيل.
وقد بعثت لكم قيس بن سعد الأنصاري أميراً،
فوازره، وأعينوه على الحق، وقد أمرته بالإحسان إلى
محسنكم، والشدة على مريكم، والرفق بعوامكم
وخواصكم، وهو ممن أَرْضَى هديهِ، وأرجو صلاحه
ونصحه أسأل الله لنا ولكم عملاً زاكياً، وثواباً جميلاً،
ورحمة واسعة، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.
فلما فرغ من قراءة الكتاب قام قيس خطيباً، فحمد
الله وأثنى عليه، وصلى على رسوله الكريم، وقال: الحمد
لله الذي جاء بالحق، وأمات الباطل، وكبت الظالمين، أيها
الناس إنا قد بايعنا خير من نعلم بعد محمد (صلى الله عليه وآله) نبينا

فقوموا فبايعوا على كتاب الله عز وجل، وسنة رسوله
الكريم (صلى الله عليه وآله) فإن نحن لم نعمل لكم بذلك فلا بيعة لنا عليكم.
فقام الناس فبايعوا، واستقامت له مصر، وبعث
عليها عماله وكان قيس صاحب حزم ورأي ودراية
بأمور الدولة والناس، إلا قرية منها يقال لها: " خربتنا "
فيها أناس قد أعظموا قتل عثمان بن عفان وبها رجل من
كنانة من بني مدلج يقال له " يزيد بن الحارث "، فبعث
هؤلاء إلى قيس بن سعد: إنا لا نقاتلك فابعث عمالك،
فالأرض أرضك ولكن أقرنا على حالنا حتى ننظر إلى ما
يصير أمر الناس، فبعث إليهم إني لا أكرهكم على البيعة،
وأنا أدعكم وأكف عنكم، فهادنهم على ذلك وجبى
الخراج، وليس أحد من الناس ينازعه (١).
ووثب من أنصاره ومن رهطه يتقدمهم مسلمة بن
مخلد الأنصاري، ثم من بني ساعدة، من رهط قيس بن

(١) تاريخ الطبري: ج ٤ ص ٥٥٠.

سعد، فنعي عثمان بن عفان، ودعا إلى الطلب بدمه، فأرسل إليه قيس بن سعد: ويحك يا مسلمة أعلي تثب؟! فوالله ما أحب أن لي ملك الشام إلى مصر وإني قتلتك، فبعث إليه مسلمة، إنني كاف عنك ما دمت أنت والي مصر.

ولم يكن أحد ينازعه، فكان قيس أثقل خلق الله على معاوية وعمرو بن العاص لأنه كان ممتنعا بالمكيدة والدهاء من معاوية وعمرو بن العاص، ولا يخفى عليه شيء من مكائدهم، وقد أدر الأرزاق على أهل مصر ولم يحمل إلى أهل الشام طعاما.

وخرج الإمام علي (عليه السلام) إلى البصرة لحرب الجمل وقيس لا يزال على مصر، ورجع الإمام (عليه السلام) إلى الكوفة من البصرة وهو بمكانه فكان أثقل خلق الله على معاوية وعمرو بن العاص وجود قيس أميرا على مصر لقرب مصر وأعماله من الشام مخافة أن يقبل الإمام علي (عليه السلام) بأهل العراق، ويقبل إليه قيس بأهل مصر فيقع بينهما.

فكتب إليه معاوية كتابا اتهمه واتهم عليا (عليه السلام) بإغراء الناس بقتل عثمان، ودعا قيسا بالالتحاق به ومبايعته، ووعدته بإمارة العراقيين ولمن يريد من أهله سلطانا لحجاز، أجابه قيس بكتاب فيه من الدهاء والمماطلة " والدبلوماسية " - باصطلاح اليوم - .

بسم الله الرحمن الرحيم

من قيس بن سعد إلى معاوية بن أبي سفيان، أما بعد: فالعجب من استسقاطك رأيي، واغترارك بي، وطمعك في أن تسومني - لا أبا لغيرك - الخروج من طاعة أولى الناس بالأمر، وأقولهم بالحق، وأهداهم سبيلا، وأقربهم من رسول الله (صلى الله عليه وآله) وسيلة، وتأمروني بالدخول في طاعتك وطاعة أبعد الناس من هذا الأمر، وأقولهم بالزور، وأضلهم سبيلا، وأبعدهم من رسول الله (صلى الله عليه وآله) وسيلة، ولديك قوم ضالون مضلون، من طواغيت

إبليس.

وأما قولك: أنك تملأ علي مصر خيلاً ورجالاً،
فلئن لم أشغلك عن ذلك حتى يكون سنك أنك لذو جد
والسلام (١).

فلما أتى معاوية كتاب قيس آيس منه وثقل مكانه
عليه واشتد على معاوية لما يعرف من بأس قيس بن سعد
ونجدته، فأظهر للناس هذه المكيدة بعد التشاور مع عمرو
ابن العاص والمغيرة بن شعبة، فأظهر للناس أن قيساً قد
بايعني، واختلق كتاباً مزوراً نسبه إلى قيس، فقرأه على
أهل الشام وطلب منهم الكف عن سبه وشتمه ومعاداته،
فشاع في أهل الشام أن قيساً صالح معاوية، وكتب عيون
الإمام (عليه السلام) في الشام إليه هذا الخبر، فلم يصدق الإمام (عليه السلام)
ذلك أبداً لما يعلمه من إخلاص قيس وهديه ويقينه ومع

(١) الغارات: ١٣٤، وذكره ابن أبي الحديد في شرح النهج: ج ٥
ص ٦٢.

ذلك فقد جمع الإمام (عليه السلام) أبناءه وعبد الله بن جعفر فاستشارهم وقال: ما رأيكم؟ فقال عبد الله بن جعفر: يا أمير المؤمنين دع ما يريبك إلى ما لا يريبك، اعزل قيس عن مصر فقال لهم: والله ما أصدق بهذا على قيس، فتبادلت الكتب بين الإمام (عليه السلام) وبين عامله على مصر قيس بن سعد وهي مفصلة في متون السير وأهل التاريخ أطوي عنها روما للاختصار.

وكان عبد الله بن جعفر الطيار أخا لمحمد بن أبي بكر لأمه كما جاء في ترجمته فقال للإمام (عليه السلام) ابعث محمد بن أبي بكر إلى مصر يكفيك أمرها، وكان أهل مصر لهم ميل إلى محمد بن أبي بكر، فاستعمله على مصر، وكتب معه كتابا إلى أهل مصر، ذكرناه في ترجمة "محمد بن أبي بكر". فسلم قيس الأمر إلى الوالي الجديد محمد بن أبي بكر وخرج إلى المدينة المنورة، وقد أراد بعض العثمانيين استغلال الموقف، فجاءه حسان بن ثابت شامتا فقال له نزعك علي بن أبي طالب، وقد قتلت عثمان فبقي عليك

الإثم ولم يحسن لك الشكر، فزجره قيس وقال: يا أعمى القلب ويا أعمى البصر لولا أن ألقى بين رهطي ورهطك حربا لضربت عنقك، ثم أخرجته من عنده مذموما مدحورا، ولم يستطع قيس البقاء في المدينة بعيدا عن إمامه فخرج منها ومعه سهل بن حنيف، وقدموا على الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام) الكوفة، وذكر قيس للإمام (عليه السلام) حقيقة ما كان يجري في مصر فصدقته (عليه السلام) وعلم أنه كان يقاسي أمورا عظما من المكائد.

ويقول ابن الأثير: أن معاوية ندم على تقريب قيس من جوار الإمام علي وقال: لو أمددته بمائة ألف لكانوا أهون علي من قيس بن سعد من جوار علي، وشهد قيس مع علي (عليه السلام) صفين وكذلك واقعة النهروان وقاتل الخوارج، ولما انتصر (عليه السلام) واستعد للمسير إلى الشام مرة ثانية لحرب الفئة الباغية، اغتاله المجرم ابن ملجم المرادي لعنه الله واستشهد (عليه السلام) ولم ينزع عنه بعد لأمة الجهاد.

قال نصر بن مزاحم (١): إن الإمام علي (عليه السلام) لما عزم على المسير إلى صفين، دعا من كان معه من كبار المهاجرين والأنصار وأهل الرأي فاستشارهم، فقام فيمن قام قيس بن سعد، فحمد الله وأثنى عليه، وصلى على رسوله الكريم ثم قال: يا أمير المؤمنين انكمش (٢) بنا إلى عدونا ولا تعرج، فوالله لجهادهم أحب إلى من جهاد الترك والروم والديلم، لإدهانهم (٣) في دين الله، واستذلّاهم أولياء الله من أصحاب محمد (صلى الله عليه وآله) من المهاجرين والأنصار والتابعين لهم بإحسان، إذا غضبوا على رجل مؤمن حبسوه أو ضربوه، أو حرموه من عطائه، أو سيره إلى خارج بلده وأصبح فيئنا لهم في أنفسهم حلال، ونحن لهم فيما يزعمون قطين. وهذه الكلمة

(١) في كتاب صفين.
(٢) انكمش: أسرع - لا تتماهل أو تتأخر.
(٣) المداهنة والمزاوغة والمكر: العرجة المكوت.

إن دلت على شئ فإنما تدل على علم قيس وإيمانه ويقينه
بحق إمامه وقضيته، وباطل معاوية وأهل الشام
وأتباعهم، وبمستقبل المظلم للأمة، وابتلاء المسلمين بحكم
بني أمية الجائر إن تم لهم ذلك.

وقال نصر بن مزاحم (١): إن معاوية لما تعاضمت
عليه الأمور في صنفين جمع خواصه وأتباعه وقال لهم: قد
غمني رجال من أصحاب علي وعد منهم قيس بن سعد في
الأنصار، وسعيد بن قيس في همذان، ومالك الأشتر في
نخع وقومه، وهاشم المرقال في بني زهرة، وعدي بن حاتم
في طي.

فعبأ معاوية لكل عشيرة منهم رجلا وقائدا من
أصحابه، فجعل من قريش بسر بن أرطاة لقتال قيس بن
سعد، فخرج بسر في الخيل فلقي قيس بن سعد في كمة (٢)
الأنصار، فاشتدت الحرب، وحمي الوطيس بينهما وبرز

(١) في كتاب صفين.

(٢) الكمة: الشجعان.

قيس بن سعد يرتجز ويقول:
أنا ابن سعد زانه عبادة* والخزرجيون رجال سادة
ليس فراري في الوغى عبادة* إن الفرار للفتى قلادة
يا رب أنت لقني الشهادة* القتل خير من عناق غادة
فطعن خيل بسر، وبرز له بسر فطعن قيسا، فضربه
قيس بالسيف فرده على عقبه ورجع القوم جميعا ولقيس
الفضل.

وقد أبدى الأنصار من البطولات والشجاعة
الفريدة الرائعة وكان قيس بن سعد في مقدمتها.

قيس وواقعة صفين
أبرز قيس بن سعد من الشجاعة والبطولات في
سوح القتال بصفين ما أعجب قادة الحرب من الجانبين،
حتى دعا معاوية النعمان بن بشير ومسلمة بن مخلد
الأنصاريين، ولم يكن معه من الأنصار غيرهما، فقال لهما
لقد غمني ما لقيت من الأوس والخزرج واضعي سيوفهم
على عواتقهم يدعون إلى النزال حتى إني ما سألت عن
فارس من فرساني إلا قالوا قتله الأنصار، أما والله
لأرminهم بأعدائهم من رجال لم يغدهم التمر والطفيش،
وكان معاوية يهددهم ويعيرهم بالتمر والطفيش.
ثم أن قيس بن سعد جمع الأنصار وقام فيهم خطيباً
وقال: أن معاوية قد قال ما بلغكم، وأجاب عنكم
صاحبكم، فلعمري لئن غظتم معاوية اليوم فلقد غظتموه
بالأمس، وإن وترتموه في الإسلام، فلقد وترتموه في

الشرك، وما لكم إليه من ذنب أعظم من نصرة هذا الدين
الذي أنتم عليه. فجدوا اليوم جدا مع هذا اللواء الذي كان
يقاتل عن يمينه جبرئيل؟، وعن يأسره ميكائيل، والقوم
مع لواء أبي جهل والأحزاب. فأنشد يقول:
يا ابن هند دم التوثب في الحر * ب إذا نحن بالجياذ سرينا
نحن من قد علمت فادن إن شيء * - ت بمن شئت في العجاج إلينا
إن تشأ فارس له فارس من * - ا وإن شئت باللفيف التقينا
إننا الذين لدى الفت * - ح شهدا خيبرا وحنينا
بعد بدر وتلك قاصمة الظه * - ر واحد وبني النضير ثنينا
يوم الأحزاب فيه قد علم * الناس شفينا من قبلكم واشتفينا

فلما بلغ شعره معاوية دعا عمرو بن العاص فقال
ما ترى في شتم الأنصار فقال أرى أن تواعد ولا تشتم،
قال معاوية: إن قيس بن سعد يقوم كل يوم خطيباً وهو
يريد أن يفنينا غداً إن لم يحسبه حابس الغد فما الرأي؟
قال: الرأي التوكل والصبر، وإن تبعث إلى رجال من
رؤساء الأنصار فتعاتبهم، فبعث إليهم فمشوا إلى قيس
فقالوا أن معاوية لا يريد شتمنا فكف عن شتمه، فقال إن
مثلي لا يشتم ولكن لا أكف عن حربه حتى ألقى الله
سبحانه، وتحركت الخيل غدوة فظن قيس أن معاوية فيها
فحمل على رجل يشبهه فضربه ثم انصرف وهو يقول:
خوفتني أكلب قوم عاوية * إلي يا ابن الخاطئين الماضية
ترقل أرقال العجوز الخاوية * في أثر الساري ليالي الشاتية
ويوم صفين دعا الإمام (عليه السلام) قيس بن سعد فأثنى

عليه وجزاه خيرا وسوده على الأنصار (١)، وقال قيس
يوم صفين:
قلت لما بغى العدو علينا * حسبنا ربنا ونعم الوكيل
حسبنا ربنا الذي فتح البصر * ة بالأمس والحديث طويل
وعلي إمامنا وإمام * لسوانا أتى به التنزيل
حين قال النبي من كنت مولاه * فهذا مولاه خطب جليل
إن ما قاله النبي على الأم * - ة حتم ما فيه قال وقيل
كان قيس بن سعد على رأس شرطة الخميس، وفي
مقدمة جيش الإمام علي (عليه السلام) المتجه إلى الشام رحب

(١) جعله سيذا عليهم.

الباغين بعد انتصاره على الخوارج في النهروان، وكان تحت إمرته خمسة آلاف فارس وراجل قد حلقوا رؤوسهم مستعدين للجهاد وقتال أهل الشام وهم من شرطة الخميس.

التعريف بشرطة الخميس:

شرطة الخميس تعتبر القوات الخاصة للإمام أو بالأحرى قوات الصاعقة، وهي أول كتيبة في مقدمة الجيش تلقى العدو، وتسميته بالخميس، لأنه يتألف من خمسة أقسام: الميمنة، والميسرة، والمقدم، والساق، والقلب، ومراد المؤرخين وأهل السير ب " شرطة الخميس " هم النخبة من أصحاب أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام).

وحين رجع الإمام علي (عليه السلام) من صفين، رد مالك الأشر إلى عمله بالجزيرة، وقال لقيس بن سعد: أقم أنت معي على شرطتي حتى نفرغ من أمر هذه الحكومة فكان

قيس مقيما على شرطته (١).
وعن يحيى بن صالح عن أصحابه، أن عليا (عليه السلام)
ندب الناس عندما أغار أهل الشام على نواحي السواد،
فانتدب لذلك شرطة الخميس، فبعث إليهم قيس بن سعد،
ثم وجههم فساروا حتى وردوا تخوم الشام (٢). ولما علم
بمقتل الإمام علي (عليه السلام) رجع إلى الكوفة.
ورواية الطبري: فأمرت شرطة الخميس قيس بن
سعد على أنفسهم، وتعاهدوا على قتال معاوية حتى
يشترط لشيعة علي (عليه السلام)، ولمن اتبعه على أموالهم ودمائهم
ما أصابوا في الفتنة... فأبى قيس أن يلين له، حتى أرسل
إليه معاوية بسجل قد ختم في أسفله فقال: أكتب في هذا
السجل ما شئت فهو لك.
فقال عمرو بن العاص: لا تعطه هذا وقاتله، فقال
معاوية: على رسلك، فإننا لا نخلص إلى قتل هؤلاء حتى

(١) الغارات ص ١٦٤.

(٢) الغارات ص ٣٣٦.

يقتلوا أعدادهم من أهل الشام، فما خير العيش بعد ذلك،
وإني والله لا أقاتله أبدا حتى لا أجد في قتالهم بدا، فلما
بعث إليه معاوية بذلك السجل اشترط قيس فيه له ولشيعة
علي (عليه السلام) الأمان على ما أصابوا من الدماء والأموال، ولم
يسأل معاوية في سجله ذلك مالا، وأعطاه معاوية ما
سأل (١).

إن الإسفاف الذي حدا ببعض المسلمين إلى
الالتحاق بركب الظالمين ومصانعتهم ومتابعتهم، بل وحتى
القتال في صفوفهم، والموت على ضلالهم، طمعا بمال
زائل، ومنصب حائل مما جعل موقف الإمام الحسن (عليه السلام)
بعد أبيه حرجا، بالإضافة إلى طغيان معاوية ومن لف لفه
من المجرمين ومن تابعهم، حتى وصل الأمر إلى أقرب
الناس إليه وهو ابن عمه عبيد الله بن العباس قائد طليعة
جيش الإمام الحسن (عليه السلام) لمحاربة الباغين من شياطين أهل

(١) تاريخ الطبري: ج ٥ ص ١٦٤.

الشام، أن انظم إلى صفوف معاوية.
وفي هذا الخضم المتلاطم بأمواج الفتن والنفاق،
والتمحيص الذي يفصل بين النفوس، وقف بطلنا المخلص
والصحابي المجاهد، المدافع عن شريعة السماء وعن النبي
وأهل بيته الطاهرين (عليهم السلام) قيس بن سعد كالطود الشامخ
أمام تلکم العواصف المزلزلة والقواصف المدمرة، وقف
أمام طاغية زمانه معاوية متحديا جبروته واستعلائه
وجها لوجه قائلا له لا يكون بيني وبينه إلا الرمح والسيف
وذلك لما تقرب إليه ودعاه إلى جنبه وأغراه ومناه
بالمناصب والأموال، كما أغرى قائد الجيش عبید الله بن
العباس بالأموال والمنصب وانخداعه فأثر ذل الحياة
والضلال على عز الهدى والتقوى والجهاد.
وإليك بعض مواقف قيس الجليلة الجبارة.
ذكر البلاذري (١) من معاناة الإمام الحسن (عليه السلام) من

(١) أنساب الأشراف: ج ٣ ص ٥٢.

أصحابه [وخياناتهم] والفتن التي أثرت حوله، فقال:
فبلغ الخبير قيسا فخرج إلى أصحابه فقال: يا قوم، إن
هؤلاء " يعني معاوية وأتباعه " كذبوا محمدا (صلى الله عليه وآله) وكفروا
به ما وجدوا إلى ذلك سبيلا، فلما أخذتهم الملائكة من بين
أيديهم ومن خلفهم، وعن أيمنهم، وعن شمائلهم، دخلوا
الإسلام كرها، وفي أنفسهم ما فيها من النفاق، فلما
وجدوا السبيل إلى خلافه أظهروا ما في أنفسهم.
وقال المدائني (١): كتب معاوية إلى قيس يدعوه إلى
نفسه - وهو بمسكن معسكرا على رأس جيش قوامه
عشرة آلاف مقاتل - فأبى أن يجيبه، ثم كتب له بعد كلام
طويل من سب وشتم قائلا له أنت يهودي وابن يهودي،
أن ظفر أحب الفريقين إليك عزلك واستبدل بك، وأن ظفر
أبضعهما إليك قتلك، ونكل بك، وقد كان أبوك أوتر غير
قوسه، ورمى غير غرضه، فأكثر الحز، وأخطأ المفصل،

(١) أنساب الأشراف: ج ٣ ص ٤٠.

فخذله قومه، وأدركه يومه، فهلك بحوران طريدا،
والسلام (١).

فكتب إليه قيس بن سعد جوابا على رسالته، قائلا:
أما بعد يا معاوية فإنما أنت وثن وابن وثن، من أوثان
مكة، دخلت في الإسلام كرها، وأقمت عليه فرقا،
وخرجت منه طوعا ولم يجعل الله لك فيه نصيبا، لم يقدم
إيمانك، ولم يحدث نفاقك ولم تزل حربا لله ورسوله،
وحزبا من أحزاب المشركين، فأنت عدو الله ورسوله
والمؤمنين من عباده، وذكرت أبي ولعمري ما أوتر إلا
قوسه، ولا رمى إلا غرضه، وزعمت أنني يهودي، ولقد
علمت وعلمنا أن أبي من أنصار الدين الذي خرجت
منه.

(١) مشيرا إلى خيبتة من الخلاف وتغلب عليه المهاجرون أبو بكر
وعمر وابن الجراح، وخروجه بعد فشله إلى الشام ولم يبايع أبا بكر
ولا عمر واغتيل بحوران بتدبير من عمر ومعاوية.

فاعترض عليه من لم يبلغ كعبه، ولم يشق غباره،
وكان أمرا مرغوبا عنه، مزهودا فيه، ونحن أنصار الدين
الذي خرجت منه، وأعداء الدين الذي صرت إليه،
والسلام.

فقال له عمرو: أجبه، فقال: أخاف أن يجيني بما
هو أشد من هذا.

وفي رواية نصر بن مزاحم: فلما قرأ معاوية كتابه
غاضه ذلك وأراد إجابته فقال له عمرو بن العاص مهلا،
أن كاتبته أجابك بأشد من هذا، وإن تركته دخل فيما
يدخل فيه الناس فأمسك عنه، وانصرف قيس بمن معه
إلى الكوفة.

إن قيس علم الأجيال على الجرأة والاستهانة
بالجبايرة والظالمين، مهما عتوا وطغوا وتجبروا، وجدير
بالمسلم أن يأخذ من هذا دروسا عملية فلا يخاف أحدا
إلا ربه، ولا يأخذه في الله والحق لومة لائم، لا يداهن
فاجرا ولا يرهب سلطانا جائرا، وليعلم أن الله سبحانه

موهن كيد الظالمين.
خطب الإمام الحسن (عليه السلام) الناس بعد شهادة أبيه
وحثهم على الجهاد والسير إلى الفئة الباغية من أهل الشام
بإمرة معاوية فتناقل أهل الكوفة، عندها قام قيس بن
سعد في جماعة فأنبوا الناس ولاموهم على تناقلهم
وحرصوهم على جهاد عدوهم فلما اجتمع الناس سيرهم
بقيادة ابن عمه عبيد الله بن العباس على مقدمة الجيش إلى
لقاء معاوية، وأمره أن يشاور قيس بن سعد، وسعيد بن
قيس الهمداني الذين خرجا معه.
ولما عسكر الجيش بمسكن استعدادا للمواجهة
والحرب، أرسل معاوية من يغري عبيد الله بالمال
والمنصب أن هو ترك قيادة جيش الإمام (عليه السلام) والالتحاق
به فنقد له خمسمائة ألف درهم ومثله إن هو دخل الكوفة،
فقبض المبلغ وانسل هو ومن معه من أتباعه ليلا إلى
عسكر معاوية وأهل الشام وأصبح الجيش بغير أمير،
فتقدم قيس ابن سعد فصلى بهم الصبح، ثم خطبهم، فقال

يا أيها الناس لا يهولنكم، ولا يعظمن عليكم ما صنع هذا
الرجل الوله الورغ - أي الجبان - إن هذا وأباه وأخاه لم
يأتوا بيوم خيرا قط إن أباه عم رسول الله (صلى الله عليه وآله) خرج
يقاتله ببدر فأسره كعب بن عمرو الأنصاري فأتى به
رسول الله (صلى الله عليه وآله) فأخذ فداه فقسمه بين المسلمين، وأن
أخاه وياه علي (عليه السلام) على البصرة فسرق مال الله ومال
المسلمين فاشترى به الجواري وزعم أن ذلك له حلال،
وأن هذا وياه أيضا على اليمن فهرب من بسر ابن أرطاة
وترك زوجته وولده حتى قتلوا، وصنع الآن هذا الذي
صنع، فتنادى الناس الحمد لله الذي أخرجه من بيننا
أمض بنا إلى عدونا فنهض بهم، وخرج إليهم بسر بن
أرطاة في عشرين ألفا فصاحوا بهم هذا أميركم قد بايع،
وهذا الحسن قد صالح فعلام تقتلون أنفسكم، فقال لهم
قيس: اختاروا إما القتال مع غير إمام، أو تبايعوا بيعة
ضلال فقالوا بل نقاتل بلا إمام فخرجوا وضربوا أهل
الشام حتى ردوهم إلى مصافهم، وكتب معاوية إلى قيس

يدعوه ويمنيه، فكتب لا والله لا تلقاني أبدا إلا بيني وبينك
الرمح أو السيف وانصرف قيس بن سعد بمن معه حتى
دخلوا الكوفة.

وروى أبو الفرج الأصفهاني في مقاتل الطالبين:
إنه لما صالح الإمام الحسن (عليه السلام) معاوية اعتزل قيس بن
سعد في أربعة آلاف مسلح وأبى أن يبايع وأرسل معاوية
إلى قيس يدعوه إلى البيعة " بحضور الإمام الحسن (عليه السلام) "
فجاء فلما أرادوا أن يدخلوه إليه قال: إني حلفت أن لا
ألقاه إلا بيني وبينه الرمح والسيف، فأمر معاوية بإحضار
الرمح أو السيف فوضع بينهما ليبر قيس يمينه.
فأقبل قيس على الإمام الحسن (عليه السلام) وقال له أنا في
حل من بيعتك قال نعم: فألقي لقيس كرسي وجلس
معاوية على سريره فقال له معاوية: هل تبايع؟ قال نعم:
فوضع يده على فخذه ولم يمدّها إلى معاوية، فقام معاوية
عن سريره وأكب على قيس حتى مسح يده على يده، فما
رفع قيس إليه يده، وهكذا تمت بيعة قيس لمعاوية.

روى التابعي الكبير سليم بن قيس في كتابه، قال:
قدم معاوية في خلافته المدينة بعد شهادة الإمام
الحسن (عليه السلام) فاستقبله أهل المدينة، فنظر معاوية فإذا الذي
استقبله من قريش أكثر من الأنصار، فالتفت معاوية إلى
قيس بن سعد وقال: يا معشر الأنصار ما لكم لا
تستقبلوني مع إخوانكم من قريش؟
فقال قيس وهو سيد الأنصار: أقعدنا إذا لم تكن لنا
دواب.

فقال معاوية: فأين النواضح؟ (١).
فقال قيس - أفينها يوم بدر، ويوم أحد وما
بعدهما في مشاهد رسول الله (صلى الله عليه وآله)، حين ضربناك وأباك
على الإسلام حتى ظهر أمر الله وأنتم كارهون.

(١) النواضح: الإبل التي يحمل عليها الماء لسقي الزرع يقصد بذلك
توهينهم وإهانتهم بأنهم زراع وفلاحون، وليس أهل غزو أو
قناص.

فقال معاوية: اللهم غفرا.
قال قيس: أما إن رسول الله (صلى الله عليه وآله) قال سترون
بعدي إثرة، ثم قال: يا معاوية تعيرنا بنواضحنا؟ والله لقد
لقيناكم عليها يوم بدر وأنتم جاهدون على إطفاء نور الله،
وإن تكون كلمة الشيطان هي العليا، ثم دخلت أنت
وأبوك كرها في الإسلام الذي ضربناكم عليه.
قال معاوية: كأنك تمن علينا بنصرتكم إيانا، فله
وقريش بذلك المن والطول، أستم تمنون علينا يا معشر
الأنصار بنصرتكم رسول الله، وهو من قريش، وهو ابن
عمنا ومنا؟ قلنا المن والطول إذ جعلكم الله أنصارنا
وأتباعنا، فهداكم بنا.
فقال قيس: إن الله سبحانه بعث محمدا (صلى الله عليه وآله) رحمة
للعالمين، فبعثه إلى الناس كافة، وإلى الجن والإنس،
والأحمر والأسود والأبيض، اختاره لنبوته، واختصه
برسالته، فكان أول من صدقه وآمن به ابن عمه علي بن
أبي طالب، وأبو طالب يذب عنه ويمنعه، ويحول بين كفار

قريش وبين أن يردعوه أو يؤذوه، فأمر أن يبلغ رسالة ربه، فلم يزل ممنوعاً من الضمى والأذى حتى مات عمه أبو طالب، وأمر ابنه علي بموازرتة، فوازره ونصره، وجعل نفسه دونه في كل شديدة، وكل ضيق، وكل خوف، واختص بذلك علياً (عليه السلام) من بين قريش، وأكرمه من بين جميع العرب والعجم، فلم يدع قيس بن سعد منقبة من مناقب رسول الله (صلى الله عليه وآله) وعلي وأهل بيته إلا وذكرها واحتج بها عليه، وقال: منهم جعفر الطيار في الجنة بجناحين، اختصه الله بذلك من بين الناس، ومنهم حمزة سيد الشهداء، ومنهم فاطمة الزهراء سيدة نساء أهل الجنة، ومنهم الحسن والحسين سيدي شباب أهل الجنة، فإذا وضعت يا معاوية من قريش رسول الله (صلى الله عليه وآله) وأهل بيته، وعترته الطيبين الطاهرين، فنحن والله خير منكم يا معشر قريش، وأحب إلى الله ورسوله وإلى أهل بيته منكم، [لأننا كنا أنصاره والمدافعين عنه وعن رسالته، وأنتم تتحينون به الدوائر، وتجمعون الأحزاب لقتاله

ومحاربة رسالته].
ولما قبض رسول الله (صلى الله عليه وآله) والتحق بالرفيق الأعلى
اجتمعت الأنصار إلى أبي، ثم قالوا: نبايع سعدا، ف جاءت
قريش فخاصمونا بحجة علي وأهل بيته، وخاصمونا بحقه
وقرابتة، فما يعدوا قريش أن يكونوا ظلموا الأنصار
وظلموا آل محمد، ولعمري ما لأحد من الأنصار، ولا
لقريش، ولا لأحد من العرب والعجم في الخلافة حق مع
علي بن أبي طالب وولده من بعده، وذلك بنص بيعة يوم
الغدِير.

فغضب معاوية وبان ذلك في وجهه ولكنه تمالك
وقال: يا ابن سعد عمن أخذت هذا، وعمن رويته،
وعمن سمعته، أبوك أخبرك بذلك وعنه أخذته؟!
قال قيس: سمعته وأخذته ممن هو خير من أبي،
وأعظم حقا علي من أبي.

قال: من؟

قال: علي بن أبي طالب، عالم هذه الأمة

وصديقها، الذي أنزل الله فيه: * (قل كفى بالله شهيدا بيني وبينكم ومن عنده علم الكتاب) * فلم يدع قيس ابن سعد آية نزلت في حق علي إلا وذكرها.
قال معاوية: فإن صديقها أبو بكر، وفاروقها عمر، والذي عنده علم الكتاب عبد الله بن سلام.
قال قيس: أحق بهذه الأسماء، وأولى بها الذي أنزل الله فيه * (أفمن كان على بينة من ربه ويتلوه شاهد منه) * والذي نصبه رسول الله (صلى الله عليه وآله) بغدير خم. فقال: " من كنت أولى به من نفسه فعلي أولى به من نفسه "، وقال في غزوة تبوك: " أنت مني بمنزلة هارون من موسى، إلا أنه لا نبي من بعدي " (١).
ولقيس بن سعد مع معاوية مواقف أخرى كثيرة ذكرها ابن عبد ربه الأندلسي في عقده الفريد.

(١) كتاب سليم بن قيس الهلالي: ص ١٢٧، العقد الفريد: ج ٤ ص ٣٤.

قال معاوية يوماً للأنصار: يا معشر الأنصار لم
تطلبون ما عندي، فوالله لقد كنتم قليلاً معي، كثيراً مع
علي، ولقد فللتم حدي يوم صفين حتى رأيت المنايا
تتلظى من أستكم، ولقد هجوتموني بأشد من وخز
الأسل، حتى إذا أقام الله منا ما حاولتم ميله، قلتم: ارع
فينا وصية رسول الله (صلى الله عليه وآله)، هيهات يا أباي الحقين العذرة (١).
فأجابه قيس بن سعد قال: أما قولك يا معاوية:
جئناك نطلب ما عندك، فبالإسلام الكافي به الله، لا بما
تمت به إليك الأحزاب، وأما استقامة الأمر فعلى كره منا
كان، وأما فلنا حدك يوم صفين، فالأمر لا نعتذر منه،
وأما عداوتنا لك فلو شئت كففتم عنها، وأما هجاؤنا
إياك فقول يثبت حقه، ويزول باطله، وأما وصية رسول
الله (صلى الله عليه وآله)، فمن يؤمن به يحفظها من بعده، وأما قولك: يا أباي
الحقين العذرة، فليس دون الله يد تحجز منا، فدونك أمرك

(١) الحقين: المحبوس، والعذرة: العذر.

يا معاوية، فإنما مثلك كما قال الشاعر:
يا لك من قبرة بمعمر * خلالك الجو فيضي واصفري
ما قيل في قيس بن سعد

قال صعصعة بن صوحان العبدي: لما عقد الإمام
علي بن أبي طالب (عليه السلام) الألوية لأجل حرب صفين، أخرج
لواء رسول الله (صلى الله عليه وآله)، ولم ير ذلك اللواء منذ قبض رسول
الله (صلى الله عليه وآله) فعقده علي، ودعا قيس بن سعد بن عبادة فدفعه
إليه، واجتمعت الأنصار وأهل بدر، فلما نظروا إلى لواء
رسول الله (صلى الله عليه وآله) بكوا، فأنشأ قيس بن سعد يقول (١):
هذا اللواء الذي كنا نحف به * مع النبي وجبريل لنا مدد

(١) الغدير: ج ٢ ص ٨.

ما ضر من كانت الأنصار عييته * أن لا يكون له من غيرهم أحد
قوم إذا حاربوا طالت أكفهم * بالمشرفية حتى يفتح البلد (١)
وقال قيس بن سعد وهو يتوجه إلى صفين:
قلت لما طغى العدو علينا * حسبنا الله ونعم الوكيل
حسبنا ربنا الذي فتح البصر * ة بالأمس والحديث طويل
إلى أن قال في قصيدته:
وعلي إمامنا وإمام * لوأنا أتى به التنزيل
يوم قال النبي من كنت مو * لاه فهذا مولاه خطب جليل

(١) أسد الغابة: ج ٤ ص ١٢٦.

إنما قاله النبي على الأم * - ة حتما ما فيه قال وقيل (١)
ذكر مناقب قيس وفضائله جم من العلماء
والمؤرخون وأهل السير والمحققون فقد كانت لشخصيته
جوانب متعددة أهله للإكبار والتبجيل، فهو صحابي
وفدائي، وزعيم غير مدافع، وشجاع وقائد، وجواد كريم
ملاً حديثه المجالس، ومن الرعيل الأول من الصحابة
والتابعين، ومن المستقيمين على دينه والموالين لأمر
المؤمنين (عليه السلام) خاض غمار الحروب للدفاع عن بيضة
الإسلام ورسوله الكريم وأهل بيته الطاهرين، ثبت على
مبدأه كما ثبت الصحابي الجليل المقداد بن عمرو الكندي
على دينه وعقيدته، حينما تزعزت الجبال وزاغت
الرجال من هول عظام الأمور التي نزلت على آل
الرسول بعد وفاته (صلى الله عليه وآله) وله مزايا كثيرة مرت عليك في

(١) الفصول المختارة من العيون والمحاسن: ص ٢٣٦.

هذه الترجمة الموجزة نذكر منها ما يلي:
في عدة مواقف لما خطب قيس قال الإمام علي له:
أحسنت والله يا قيس وأجملت (١) كما جاء في كتابه (عليه السلام) إلى
أهل مصر قال فيه: وهو ممن أَرْضَى هديهِ وأرجو صلاحه
ونصحه (٢).

كان قيس بن سعد من النبي (صلى الله عليه وآله) مكان صاحب
شرطة من الأمير (٣).

لما قدم قيس المدينة عائدا من مصر، أخافه
مروان، والأسود بن البختري فخرج قيس وسهل بن
حنيف إلى الكوفة والتحقا بالإمام (عليه السلام)، فأسخط ذلك
معاوية وأغاظه، فكتب إليهما مؤنبا، أمددتما عليا بقيس
بن سعد ورأيه ومكائده، فوالله لو إنكما أمددتماه بمائة ألف

(١) أمالي الشيخ الطوسي: ص ٧٢٥.

(٢) تاريخ الطبري: ج ٢ ص ٥٥٢.

(٣) الاستيعاب: ج ٣ ص ٢٢٥.

مقاتل ما كان ذلك بأغيط إلى من إخراجكما قيس بن سعد إلى علي (١).
قال الزهري: كان قيس صاحب راية الأنصار مع رسول الله (صلى الله عليه وآله)، وكان من ذوي الرأي والبأس، وكان معاوية وعمرو بن العاص [يخشون وجوده في مصر] والجاهدين على إخراجهم من مصر ليغلبا عليها (٢).
وقال الفضل بن شاذان: كان قيس من السابقين الذين رجعوا إلى الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام) (٣).
هشام بن عروة عن أبيه أنه قال: كان قيس بن سعد مع الإمام علي (عليه السلام) على مقدمته، ومعه خمسة آلاف مقاتل قد حلقوا رؤوسهم [وهم شرطة الخميس] (٤).

(١) تاريخ الطبري: ج ٤ ص ٥٥٥.

(٢) تاريخ الطبري: ج ٤ ص ٥٥٢.

(٣) الدرجات الرفيعة: ٣٣٥.

(٤) الغارات: ١٤١.

قال الواقدي: كان قيس بن سعد من كرام أصحاب رسول الله (صلى الله عليه وآله) ومن أسخياتهم، ودهاتهم. قال ابن عبد البر في الاستيعاب: كان قيس أحد الفضلاء الأجلة [ومن أجلة الصحابة] وأحد دهاة العرب [في زمانه]، وأهل الرأي والمكيدة في الحرب، مع النجدة والبسالة، والسخاء والكرم، وكان شريف قومه غير مدافع هو وأبوه وجده. أعطاه رسول الله (صلى الله عليه وآله) الراية يوم فتح مكة، إذ نزعها من أبيه لشكوى قريش من سعد يومئذ (١).

قال الخطيب البغدادي: كان قيس بن سعد شجاعا، بطلا، كريما وسخيا، حمل لواء رسول الله (صلى الله عليه وآله) في بعض مغازيه، وولاه الإمام علي بن أبي طالب إمارة مصر، وحضر معه حرب الخوارج بالنهروان، ووقعة صفين، وكان مع الإمام الحسن بن علي على مقدمة جيشه

(١) الاستيعاب: ج ٣ ص ٢٢٥.

بالمدائن (١).
وقال ابن الأثير: كان قيس بن سعد من فضلاء
الصحابة، وأحد دهاة العرب وكرمائمهم، وكان من ذوي
الرأي الصائب والمكيدة في الحرب، مع النجدة
والشجاعة، وكان شريف قومه غير مدافع ومن بيت
سيادتهم.

قال العلامة الحلبي: قيس بن سعد بن عبادة، من
السابقين الذين رجعوا إلى أمير المؤمنين (عليه السلام)، وهو
مشكور، ولم يبايع أبا بكر (٢) وهو من جملة العشرة الذين
نصروا رسول الله (صلى الله عليه وآله).

قال خير الدين الزركلي: قيس بن سعد بن عبادة،
صحابي ومن دهاة العرب، وذوي الرأي والمكيدة في
الحرب والنجدة، وأحد الأجواد المشهورين، كان شريف

(١) تاريخ بغداد: ج ١ ص ١٧٨.

(٢) كتاب الرجال: ص ١٣٤.

قومه غير مدافع، ومن بيت سيادتهم، وكان يحمل راية
الأنصار مع النبي (صلى الله عليه وآله) ويولي أموره. كان بين يدي النبي (صلى الله عليه
وآله)

بمنزلة الشرطي من الأمير، وصحب عليا (عليه السلام) في خلافته
فاستعمله على مصر سنة ٣٦ - ٣٧ هـ، وعزل بمحمد بن أبي
بكر، وعاد إلى علي (عليه السلام) فكان في مقدمته يوم صفين، ويوم
النهروان ثم كان مع الإمام الحسن بن علي (عليه السلام) (١).
هذه ترجمة موجزة قدمتها عزيزي القارئ عن
حياة صحابي جليل وبطل من الأبطال الشجعان الذين
جاهدوا وقدموا كلما يملكون في سبيل الدين وإعلاء كلمة
الحق، وصيانة شريعة السماء التي جاء بها رسوله الكريم
محمد بن عبد الله (صلى الله عليه وآله) وجاهد دونها أهل البيت وعترته
الطاهرون.

وكان قيس بن سعد في طليعة أولئك الأبطال
المجاهدين، حتى آخر ساعة من حياته.

(١) الأعلام: ج ٥ ص ٢٠٦.

وبعد توقيع الإمام الحسن (عليه السلام) على معاهدة الهدنة مع معاوية بن آكلة الأكباد رجع الإمام الحسن (عليه السلام) إلى المدينة المنورة " مدينة جده " وكان بمعيته الفدائي المغوار قيس بن سعد، وبقي فيها إلى جنب إمامه يعاني من تلاعب الظالمين في الدين، والانحراف عن شريعة السماء، الشريعة التي صدع بها الرسول الأعظم طيلة ثلاث وعشرين سنة ليعيدها معاوية جاهلية مشرقة كما خططها له أبوه صخر بن حرب عدو الإسلام والتوحيد الأول. وزاد معاوية على أبي سفيان بأن تربع على دست الحكم في الشام، وقرب إليه من سنخه وشاكلته أولاد الزنا والسفاح العاهرات صاحبات الرايات أمثال زياد بن سمية، وعمرو بن العاص ابن النابغة، وابن شعبة وغيرهم ليكيدوا إلى الإسلام وحملته المكائد، ويغوا لها الدوائر، وقد جعلوا مال الله دولا وعباد الله خولا. حتى استشهد الإمام الحسن (عليه السلام) بسم دسه إليه معاوية على يد زوجته جعدة بنت الأشعث لعنها الله ولعن

أباها وأخويها، وبقي بعده هو وخواص أصحابه وأهل
بيته، خائفين أن يتخطفهم الأعداء من كل جانب، حتى
لفظ أنفاسه ولبي نداء ربه ليلتحق بركب الصالحين في سنة
ستين من الهجرة النبوية بالمدينة المنورة، وكان موته كما
قال الشاعر:

وما كان قيس هلكه هلك واحد* ولكنه بنيان قوم تهدما
فسلام عليه يوم ولد، ويوم آمن وجاهد، ويوم
أسلم روحه الطاهرة ويوم يبعث حيا.

مصادر البحث
معجم رجال الحديث.
شرح النهج.
تاريخ الطبري.
كتاب صفين.
الاستيعاب.
أنساب الأشراف.
أسد الغابة.
الغدير.
أعيان الشيعة.
كتاب سليم بن قيس.
الأعلام للزركلي.
تاريخ بغداد.
مروج الذهب.

الدرجات الرفيعة.
المغازي للواقدي.
تهذيب التهذيب.
الغارات.
أمالى الشيخ الطوسى.

بسم الله الرحمن الرحيم
* (إن الله مع الذين اتقوا * والذين هم محسنون) * (١)

هاشم المرقال

الحواريون

خريجو مدرسة: الرسول الأعظم: وأمير المؤمنين

صلوات الله عليهم أجمعين

(١) النحل: ١٢٨.

هاشم المرقال

في سطور

إليك شذرات مما كتبه العلماء والمؤرخون
وأصحاب السير عن حياة البطل المجاهد هاشم المرقال في
أسفارهم وكتبهم منهم: ملخصه في سطور:

١ - معجم رجال الحديث للسيد الخوئي (١).

أ - عد من أصحاب أمير المؤمنين - سمي بالمرقال
لأنه كان يرقل [يركض] في الحرب.

ب - كان صاحب الراية في ليلة الهرير في صفين.

ج - هاشم بن عتبة المرقال كان أحد الخمسة من

قريش الذين كانوا مع أمير المؤمنين (عليه السلام) وهم: محمد بن
أبي بكر، وخالد بن سعيد بن العاص، وهاشم بن عتبة

(١) معجم رجال الحديث للسيد الخوئي ج ١٩ ص ٢٤٥.

المرقال، وجعدة بن هبيرة المخزومي، ومحمد بن أبي حذيفة.

٥ - خرج حمزة بن مالك الهمداني من عسكر

معاوية قائلاً لهاشم المرقال:

يا أعور العين وما فينا عور* نبغي ابن عفان ولنحي من عذر
فتصاولا وتطاعنا فطعنه هاشم وقتله، فهجم
أصحابه على المرقال فقتلوه.

٢ - الأعلام - خير الدين الزركلي (١):

أ - هاشم بن عتبة بن أبي وقاص، صحابي،
خطيب، من الفرسان، يلقب بالمرقال، وهو ابن أخ سعد
ابن أبي وقاص، أسلم يوم فتح مكة، ونزل الشام بعد
فتحها، فأرسله عمر بن الخطاب مع ستة عشر رجلاً من
جند الشام مدداً [لعمه] سعد بن أبي وقاص في العراق،

(١) الأعلام للزركلي ج ٨ ص ٦٦ ط بيروت.

وشهد القادسية مع سعد، وأصيبت عينه اليرموك، فقيل له "الأعور" وفتح جلولاء، وكان مع علي بن أبي طالب في حروبه، وتولى قيادة الرجالة في صفين، وقتل في آخر أيامها.

٣ - الاستيعاب على هامش الإصابة - لابن حجر العسقلاني (١):

أ - نسبه كما ذكرناه قبلا - يكنى بأبي عمر.

ب - نزل الكوفة واستوطن فيها بعد الشام.

ج - أسلم يوم فتح مكة - وحسن إسلامه وكان من الفضلاء الأخيار.

د - فقئت عينه يوم اليرموك - فسمي بالأعور.

هـ - فتح جلولاء في معركة ضارية مع الأكاسرة، وعقد له عمه سعد اللواء وكانت تسمى هذه المعركة بفتح

(١) الاستيعاب على هامش الإصابة لابن حجر العسقلاني المتوفى سنة ٤٦٣ هـ ج ٣ ص ٦١٦ ط دار صادر بيروت.

الفتوح لأهميتها بعد فتح المدائن بتسعة أشهر وذلك في سنة
١٧ هـ وقيل ١٩ هـ، وبلغت غنائمها ثمانية عشر ألف ألف
" هكذا ذكر "

و - شهد مع الإمام علي (عليه السلام) الجمل، وصفين، وكان
قائدا على الرجالة، وأبلى فيهما بلاء حسنا، وكانت الراية
بيده، حتى استشهد في آخر أيام معركة صفين، وهو
القائل يومئذ:

أعور يبغي أهله محلا * قد عالج الحياة حتى ملا
ويقول:

الفحل يحمي شوله معقولا * يتلهم بذي الكعوب تلا
فقطعت رجله يومئذ وجعل يقاتل من دنا منه وهو
بارك. وقاتل حتى قتل رحمه الله، وفيه يقول أبو الطفيل
عامر بن وائلة:

يا هاشم الخير جزيت الجنة * قاتلت في الله عدو السنة
أفلح من فازت به من منة

ز - كانت معركة صفين سنة سبع وثلاثين هجرية.
٤ - ذكر ابن الأثير - في كتابه أسد الغابة (١)، كما سبق في الأعلام.

٥ - في تاريخ الطبري (٢):

قال أبو مخنف.. وحدثني أبو سلمة، إن هاشم بن عتبة الزهري دعا الناس عند المساء: ألا من كان يريد الله والدار الآخرة فإلي، فأقبل إليه ناس كثير فشد في عصابة من أصحابه على أهل الشام مرارا، فليس من وجه يحمل عليه إلا صبر له وقاتل فيه قتالا شديدا، فقال لأصحابه: لا يهولنكم ما ترون من صبرهم، فوالله ما ترون فيهم إلا حمية العرب وصبرا تحت رايتها، وعند مراكرها، وإنهم لعلى ضلال، وإنكم لعلى الحق، يا قوم اصبروا وصابروا واجتمعوا، وامشوا بنا إلى عدونا على تؤدة رويدا، ثم

(١) أسد الغابة لابن الأثير ج ٥ ص ٤٩ ط طهران.

(٢) تاريخ الطبري ج ٣ ص ٩٤ ط بيروت.

اثبتوا وتناصروا، واذكروا الله بيننا وبينهم وهو خير
الحاكمين.
ثم أقبل في عصابة معه من القراء، فقاتل قتالا
شديدا عند المساء هو وأصحابه حتى رأوا بعض ما
يسرون به من الظفر.
وأقبلت إليهم كتيبة التنوخ فشدوا على أصحابه
فقاتلهم، وهو يقول:
أعور يبقى أهله محلا * قد عالج الحياة حتى ملا
يتلهم بذي الكعوب تلا
فقتل يومئذ تسعة أو عشرة من عسكر أهل الشام
فحمل عليه الحارث بن المنذر التنوخي فطعنه [في بطنه
فشققها] وأرسل إليه الإمام علي (عليه السلام) أن أقدم لواءك فقال
لرسوله: أنظر إلى بطني، فإذا هو قد شق، فقال الحجاج بن
غزيرة:
فإن تفخروا بآبن البديل وهاشم * فنحن قتلنا ذا الكلاع وحوشبا

ونحن تركنا بعد معترك اللقاء * أخاكم عبيد الله لحما وملجبا
ونحن أحطنا بالبعير وأهله * ونحن سقيناكم سماما مقشبا
هاشم المرقال

ولد هاشم بن عتبة بن أبي وقاص الزهري ابن أخ
سعد بن أبي وقاص الزهري، في بيت رفيع من بيوتات
قريش من بني زهرة بمكة.

لم أعر في متون كتب التاريخ والمصادر المهمة التي
راجعتها على تاريخ ولادة هاشم بن عتبة، وكم كان عمره
حين أسلم على يد الرسول الأكرم (صلى الله عليه وآله) عام الفتح في مكة،
حتى أستطيع بذلك تحديد شخصيته ومسار حياته

وسلوكه، فمنهم من قال ولا سيما في أعيان الشيعة (١) كان
هاشم واقفا على أعتاب البلوغ، ومنهم من يقول جاء إلى
النبي (صلى الله عليه وآله) ومد يده ليسلم ويبايعه لكنه لم يستجب له لصغر
سنه، مما جعله مغمورا ولا يذكر اسمه في غزوات
الرسول (صلى الله عليه وآله) لا سيما وإنه أسلم في عام الفتح، ثم قال السيد
الأمين مسيرة خالد بن الوليد في حروب الردة، ومنها
السفر إلى العراق. ثم إرسال أبي بكر إليه، أن يتوجه
بنصف الجيش إلى الشام ثم عودة ذلك الجيش إلى العراق
مرة أخرى بأمر عمر بن الخطاب، وإن يكون بقيادة
هاشم بن عتبة بن أبي وقاص لمناصرة عمه سعد بن أبي
وقاص وأب زوجته يتبين من ذلك أن هاشما كان من
الفرسان المقاتلين مع خالد بن الوليد في حروبه.
ويروى لما حوصر النبي والهاشميون في شعب أبي
طالب، قدم هاشم بن عتبة ببعير محملا بالطعام من تمر

(١) أعيان الشيعة للسيد محسن الأمين ج ١٠ ص ٢٥٠ ط بيروت.

وزبيب وغيره، ولما وصل إلى مدخل الشعب، وجد
رجلين من قريش يحرسان مدخل الشعب حتى لا تصل
المؤونة إلى سكان الشعب، فأغراهما بالمسابقة وجعل
جائزة لمن يسبق صاحبه إلى مكة ذهابا وإيابا، وعندما
ذهبا للمسابقة أرسل البعير المحمل إلى داخل الشعب
ورجع من حيث جاء وتوارى عن الأنظار، وهذا ما لا
يقوم به إلا رجل كامل ويحمل روح الإنسانية
والشهادة.

وأما بعث هاشم بن عتبة المرقال إلى الشام في
جيش عظيم لمحاربة الروم في معركة اليرموك مساعدا لأبي
عبيدة الجراح في القيادة فقد ذكره مفصلا الدكتور السيد
محمد بحر العلوم في كتابه من مدرسة الإمام علي (عليه السلام)
وسأنقل لك عزيزي القارئ محل الحاجة منه بصورة
موجزة مع بعض التصرف.

وتسنى الأمر أبو بكر، والتف الجميع حول رفع
راية الإسلام فصمموا على غزو الإمبراطورية الرومانية،

وكان مركز ثقلها متمثلاً في الشام.
وأعلن الجهاد لغزو الشام، وتهيأ جيش كبير بقيادة
أبي عبيدة الجراح، للقيام بهذه المهمة، وكان قادة
المسلمين قد عقدوا اجتماعاً لاختيار عسكريين، مرتهم
الأيام على مقاومة وطأة الحرب.
وتداولوا على أسماء، وكثر حولهم اللغظ، وطال
فيهم النقاش. وكان الأسماء المنتهرة معرضاً للأخذ
والرد... والتجأ القوم إلى الإمام علي (عليه السلام) وقالوا: يا أبا
الحسن، لماذا لم تشترك معنا في اختيار القادة لهذه
الغزوة؟!

قال: اسمع منكم فاستفيد.
لا يا أبا الحسن إن رأيك لسديد، لقد مارست
الحروب وخبرتها، وعمل تحت إمرتك الكثيرون، وإنك
أعرف الناس بهم، فمن تختار مساعداً لأبي عبيدة؟
لقد ذكرتم الكثير، ولم تذكروا "أرقل ليمون"، ذلك
الذي كان يعدوا أمام النبي في ساحات الجهاد!!

وكان القوم قد تنبهوا إلى هذا الاسم، فصاح الكثير منهم: أي والله هاشم المرقال؟ ابن بجدتها، وفارس الميدان!!

وهاشم واحد من أولئك الذين اختصوا بالإمام علي (عليه السلام) وعرفوا بصلتهم القوية به وعد من أقطاب مدرسته الفذة، كما هو شأن عمار والأشتر، ومحمد بن أبي بكر وغيرهم. لذا فإن كلام علي (عليه السلام) عن هذه الشخصية مبني على المعرفة التامة.

وانكشفت أسارير أبي عبيدة، فقد دب إلى نفسه الرضا، بهذا المساعد البطل... فالكل لا ينسى موقف هذا الشجاع الذي طالما ذب عن وجه رسول الله في حروبه وساعات الكرب.

وودع المسلمون جيشهم العظيم، يزحف نحو الشام، يتقدمه أبو عبيدة، وعلى يمينه هاشم بن عتبة، قد امتطى جواده، وعلى قسماته تشع روائح الفروسية والبطولة.

وأطل الجيش على الشام، وسار يفتح المدينة تلو المدينة حتى حط الجيش إلى جوار مدينة (الرستن).. كانت هذه المدينة حصينة للغاية، وكأنها هي الحصن الأول والأخير للشام فإذا سقطت بيد المسلمين هان أمر بقية الحصون بعدها.. وكان هذا الحصن على أتم استعداد، وعلى أحسن ذخيرة.

بقي المسلمون حيال هذه المدينة، وقد ضيقوا عليها الحصار ولكن لم ينفذ معها أي شيء، وغاز ذلك المسلمين، وضاقوا ذرعا بهذه الحال.. فعقد أبو عبيدة اجتماعا لكبار قاداته يستشيرهم بذلك، وطال الاجتماع كثر الحديث وكل منهم يبدي رأيه، لكن أبو عبيدة لم يقتنع بكل ما قيل.

وكان هاشم يستمع، وقد غاب في شبه تفكير، ولم يشارك الجالسين في رأي، حتى إذا ما طال بهم المقام التفت إليه أبو عبيدة قائلاً:

ما بالك يا أبا عمر لا تشاركنا الرأي، هل وضعت

لنفسك مخططا تنقذ به جيشك؟..
إن أبا عبيدة، وهو الرجل الشيخ الذي علمته
التجارب عرف عن هاشم المرقال الشيء الكثير، لذا
التفت يلح عليه أن يدلي برأيه..
وتكلم البطل بعد صمت طويل، وسكت الجميع
ينصتون إليه قال:
تعلمون أن الحرب فذلكة، أكثر من كونها حربا
سجالا وخديعة أكثر من كونها واقعية، وإن هذا الحصن
الذي يربض أمامنا قد فكرت فيه طويلا، فلم أر فيه مجالا
لمقاومته بالحرب وإن إمكانية العدو فيه متوفرة، لا
يعوزهم شيء، ومعنوياتهم عالية، ولا شك أن سقوط هذا
الحصن بيدنا معناه سقوط الشام بأجمعها، فلا بد من
اقتحامه بأي ثمن كان، ولا بد فيه من التضحية فهل نحن
على استعداد لذلك؟
فالتفت إليه الجالسون جميعا قائلين: لا... ورب
محمد الذي أنقذ البشر... لا نرجع من هنا حتى نفتح، أو

نفنى عن آخرنا.
وقفزت على ثغر المرقال ابتسامة، تحمل في طياتها
كل معاني الطمأنينة والقبول، ثم قال لهم: لدي خطة، لكم
ليلة غد، وأطلعكم عليها، فإذا ما اتفقنا عليها بدأنا
بتنفيذها في الحال.

وتفرق القادة بانتظار موعدهم المرتقب، وهم
يعلمون أن هاشم بن عتبة من أولئك الأبطال الذين
خبروا الحرب ومارسوها وكانت له مواقف، ومواقف في
ساحات الجهاد... وبات قادة المسلمين على أحر من
الجمر، وأطل الليل، وتوافدوا على مجلس قائدهم وتمت
الحلقة العسكرية، وكلهم انتظار لحديث هاشم.. والتفت
إليه أبو عبيدة، وعلى قسماته ظل كآبة قائلاً: تكلم يا أبا
عمر.. وشرح لنا خطتك، عسى أن تكون بها الفرج..
وسكت الجميع، واتجهوا بعيونهم إلى هاشم،
وبأسماعهم إلى حديثه.

وقال: لقد فكرت في فتح هذا الحصن كثيراً، فلم

أجد طريقا إلا ودرسته حتى توصلت إلى: أن خير وسيلة لفتحه هي الخطة التي أرسمها لكم، وهي: أن نهى عشرين صندوقا خشبيا، يكمن فيه عشرون بطلا من أبطالنا بكامل معداتهم فنتركها في معسكرنا، ونترك عندها رجلين من المسلمين حرسا عليها، ونتظاهر بمغادرة المكان، وكأنا تراجعنا عن فتح الحصن، ويزحف الجيش إلى أقرب قرية فيه وذلك قبل الغروب وما أن يختلط الظلام تعود كوكبة من الفرسان إلى مقربة من الحصن، تكمن عنده في ظلام الليل، وعندما يعرف أهل الحصن أن المعسكر قد ترك موقعه، وترك صناديق فسيهرعون إلى أخذها، ونقلها إلى قائدهم، وعند ذاك تكون المعركة، فإذا ما أدخلت الصناديق والأسيران إلى القائد يكبر الأسيران فينتفض الأبطال من صناديقهم، ويكبرون فيجيبهم المسلمون من الخارج، ويفتحون الحصن. وسكت هاشم بعد ذلك، وخيم على المجلس صمت عميق إنها خطة عظيمة، ولكنها خطيرة في نفس الوقت،

ومن الذي سيضحى بنفسه بهذه الصورة.
ولكن أبا عبيدة لمس هذا الوجوم من الجميع،
فخشي أن يدب الضعف في نفوس ضباطه فصرخ فيهم
عظيم، يا هاشم خطة مدروسة، أشرف على تنفيذها في
الحال.

وتهيأت الصناديق، ووضعت أمام خيمة القائد أبي
عبيدة وصاح الشيخ في ضباطه: من يبذل نفسه لهذه
المهمة. ردد صدى نداءه الفضاء، وكان هدوء، وكان
سكون، وكاد المشروع يفشل لولا يقظة هاشم، وحنكته،
وبطولته فقد اختار إحدى الصناديق، وتوارى فيه.
وأعجب القوم بهذه البسالة والشجاعة، وصاح أبو
عبيدة: يا أبا عمر من لي غيرك في هذا المقام؟! أهكذا
تهون النفس في سبيل الله؟!
وابتسم له هاشم، وقال: من يضع خطة لا بد أن
ينفذها بنفسه وإلا فالفشل حليفها...
فأجابته القائد بكل إكبار: بارك الله فيك، وفتح

على يدك حصن كفاره.
وما أن رأى القادة هاشما، وهو يتوارى في أحد
الصناديق حتى امتلأت، وأحكم أقفالها، وتبرع اثنان من
شجعان المسلمين أن يكونا حرسا عليها، وإذا ما تمت هذه
العملية، والشمس قد مالت للمغيب تظاهر المسلمون
بمغادرة المكان، وأبو عبيدة قلق، وأشعر قائد الأعداء بأن
المسلمين رحلوا عن الحصن فأرسلوا عيوننا إلى
معسكرهم، فرأوا صناديق وحارسين.
وتقدم ضابط من الأعداء: مستفسرا من الحراس
ما هذه الصناديق؟
وأجاب الحارسان: عتاد وذخيرة أمرنا بحفظها،
وستعود ثلة من الجيش الليلة لنقلها، ريثما يتم بهم المقام.
وبهت العدو: وما في هذه الصناديق؟
وقال الحارسان: لا علم لنا فيها، وليس من حقنا
أن نسأل.
وضحك العدو: ما أغباكما؟ وأحمق قائدكما؟ يترك

هذه الذخيرة بحراستكما، وأنتم على مرأى منا ومسمع،
أما يخشى عليكم من سيوفنا؟؟
وصاح الضابط: يا جنود أسروا هذين المسلمين،
واحملوا هذه الصناديق معهما إلى " نقيطاس " قائدهم
الأعلى.. وكان ما أراد، ونقل الحارسان والصناديق إلى
الحصن، حيث مقر القائد عند باب الحصن، ووضعت
هذه الغنيمة بين يديه.

وامتد الليل والقائد يسأل من الحارسين المسلمين
عن أمور المسلمين وعدتهم واتجاههم، وهما مرة يصدقانه
وأخرى يراوغانه متقصدين إطالة المقام معه... حتى إذا
اعتقدا أنه لم يبق مع القائد إلا ثلة من العسكر، كبر
الحارسان، فضحك القائد، وكانت الصناديق قد وضعت
في ساحة بمقر القيادة، وما أن استمع المختبئون صدى
التكبير حتى انتفض الجميع بسيوفهم، مكبرين مرة
واحدة بحيث ارتج المكان له، وهجم عشرة منهم على مقر
القائد وعشرة على باب الحصن، ردد المسلمون من

الخارج صدى التكبير، وكان قتال أعقبه تخاذل من الكفار، فقد اضطربوا وماجوا، وفوجئوا بالهجوم، وحاول القائد الفرار، ولكن دخل عليه هاشم فعاجله بضربة، أردته صريعا، وسقط الحصن وانتهت المعركة مع الفجر، وما إن قفز النور إلى السماء حتى كان المسلمون قد تم لهم فتح الحصن، وتهاوت الشام بعد ذلك بيد المسلمين. وكانت معركة حامية الوطيس مع " هرقل " ملك الروم ولكن هاشم هو بطل ذلك اليوم، وهو الذي كان يصول بين الجيوش يزهو وبعزيمة لا تعرف الملل ولا الكلل، حتى عرف عنه المسلمون الشئ الكثير، ورأت القيادة الإسلامية البطولة المتجسمة في المرقال، فسلمت له إمرة المشاة في جيش المسلمين وجيش المشاة أساس الحرب، ومدار القتال.

وما أن تسلم هاشم مركزه الجديد، حتى صمم على أن يضرب مثلا أعلى للبطولة في ذلك اليوم، وكان ما أراد، فقد زحف بعدته نحو جيش هرقل، يرقل براية

الإسلام، وينتقل بين الصفوف، وصار على مقربة من
سرادق قائد الكفار.. فاضطرب وخرج هاربا مضطربا،
يصيح بالروم، ويشجع بهم، وكانت لحظات حاسمة، تزار
فيها العقيدة، وتصرخ في وسطها البطولة وزحف
المسلمون وراء هاشم، وهو المقدم، وانتفض الروم وهم
في حملتهم الأخيرة، ودارت رحي الحرب قاسية
وشديدة.

وفي حملة واحدة من الجانبين، وجه جيش الروم
نبالهم يرشقون أبطال المسلمين، فما هي إلا جولة حتى
أصيب سبعمائة مسلم، من قائد وزعيم بأعينهم، وشاع في
الناس الذعر، حتى قيل عن ذلك اليوم " يوم التعوير ".
ولكن هاشم، وهو القائد المغوار لم تلعه دماؤه التي
تسيل من عينه، ولا تلك الظلمة التي أحاطت بدنياه، فما
هي إلا برهة حتى تحسس إن إحدى عينيه سالمة، فشد
على نفسه، وطاف بصحبة، وهو يشجع بهم، ويمنيهم
بقرب النصر، وإنها الجولة الأخيرة، ثم هجم على الروم

بقوة، لا تعرف السأم ولا الضجر ولم يرجع إلا وهو متوج
بالنصر في معركة " اليرموك "، فقد اندحرت أمامه
جيوش الأعداء.

واستقبله أبو عبيدة: وكبار القادة يطبعون على
جبينه قبل النصر، ويعلقون على صدره أوسمة الفخر
والإكبار.. وهكذا وقعت الشام بيد المسلمين، بفضل
موقف هاشم المرقال وحنكته العسكرية.
ولم يستقر المرقال من أتعاب هذه الحرب، حتى
ورد عليه كتاب عمر بن الخطاب، يطلب فيه أن يتوجه
فورا إلى القادسية ليساعد عمه سعد في حربها القاسية مع
الفرس.

وانتقل هاشم بجيش كثير العدد من الشام إلى
العراق وكان له في فتح القادسية، ومن بعدها من مراكز
العراق الأثر التام.
وكان في كل حروبه يذكر جيشه الباسل بما سمعه من
رسول الله (صلى الله عليه وآله) وهو الصادق القول:

" أيها الناس، سمعت رسول الله (صلى الله عليه وآله) يقول: يظهر المسلمون على جزيرة العرب، وعلى فارس، والروم، فإلى الجهاد.. إلى الجهاد، لقد صدق رسول الله، وموعدنا الجنة لا رجعة لنا إلى خيامنا، فإما الموت، وإما الفتح والنصر، وهو قريب لنا إن شاء الله ".
وبهذا الإيمان الرائع كان المرقال يستقبل أعداء الإسلام في الشام والقادسية، والمدائن، وجلولاء، ويقود كتيبته الباسلة والتي عرفت بكتيبة الأبطال.. وتم الفتح، وأشرق النصر. وعاد إلى عمه سعد، وقد أدى واجبه الديني كأحسن قائد في ميادين الشرف ومواقف البطولة. واعتزل هاشم الحرب، ورضي الولاية باعتزاله، وإن عز عليهم أن يفارق الحرب، ولكن هذه المواقف الجبارة التي أظهرها في الشام والعراق، من حرب إلى حرب، كان من الضروري له أن يخلد إلى الراحة. وسكن الكوفة، فقد ساعدته ظروف لأن يختار الكوفة على المدينة وخاصة أن عمه ووالد زوجته سعد بن

أبي وقاص واليا عليها.
وانقضت الأيام سراعاً، وجاء عثمان خليفة علي
المسلمين وتربع على حكم البلدان آل أبي معيط، وبنو
أمية، وعاثوا فساداً ويصل الأمر ببعض الولاة كالوليد بن
عقبة - وكان حينذاك على الكوفة - أن يخرج لصلاة
الصبح، وهو في حالة سكر شديدة، فصلى بالناس أربع
ركعات، ثم التفت للمصلين قائلاً: هل أزيدكم؟ وتقياً في
المحراب، وقرأ بهم في الصلاة وهو رافع صوته:
علق القلب الربابا* بعد ما شابت وشابا
فقام إليه جماعة من المسلمين فانتزعوا خاتمه من
يده، وقام إليه ابن مسعود وضرب بنعاله وجه الوليد،
وحصبه الناس فدخل القصر، والحصباء تأخذه وهو
مترنج.
ولم تكن هذه الحادثة إلا صورة واضحة لحكم آل
أبي معيط وآل أبي سفيان، الذين استولوا على الحكم
بنفوذ الخليفة عثمان.

وهذه المفارقات كافية لإثارة المخلصين على الإسلام بالكلام القاسي أولاً، ثم بالثورة العارمة على الخليفة عثمان، الذي قتل بالنهاية نتيجة لهذه الأحداث الصخبية التي مرت.

وكان موقف المرقال كموقف غيره من المسلمين المعارضين الأشداء وبايع المسلمون علياً بالخلافة. وهاشم الرجل الذي عرف علياً ومكانته من

رسول الله (صلى الله عليه وآله) فقد سمع حديثه (صلى الله عليه وآله) إذ يقول: " أنا مدينة

العلم وعلي بابها " و " علي مع الحق، والحق مع علي " و " يا علي لا يعرفك إلا الله وأنا " .

وإذا أيد المرقال بيعة الإمام، وهتف بأحقية من غيره فهو لا لكونه من صحابته فحسب، إنما يعرف أن علي بن أبي طالب سيقم العدل، وإنه خير من يصلح للأمر، لا تأخذه في الله لائمة، لهذا ما إن سمع نبأ خلافته، حتى هرع إلى أبي موسى الأشعري، وهو في الكوفة من قبل عثمان، وهجم عليه قائلاً: " بايع يا أبا موسى لخير

هذه الأمة علي بن أبي طالب ".
ولكن الأشعري ذلك المراوغ الذي لا يربطه بعلي
حب ولا إيمان، أخذ يستمهل هاشما، ويراوغه عن البيعة،
غير أن هاشما ذلك الرجل الصلب المؤمن لعقيدته يقف
أمام الأشعري وعيناه تقدحان نارا، ووضع يده على
الأخرى قائلا: يا أبا موسى هذه لعلي، وهذه لي وقد
بايعت عليا خيرا هذه الأمة. ثم أخذ ينشد:
أبايع غير مكترث عليا * ولا أخشى أميرا أشعريا
أبايعه وأعلم أن سأرضي * بذاك الله حقا والنبيا
ويبقى في الكوفة، يحث الناس على بيعة علي، وما
أن يسمع أن إمامه خرج إلى العراق لحرب الجمل، يخف
إليه، ويلتقي به، ويعتمد عليه الإمام في مراسلاته وحربه
ويقف إلى جنبه حتى ينتهي الأمر، ويكسب الإمام
النصر.

وعاد مع الإمام، ولازمه وإذا ما تظاهر معاوية
بالعصيان ولم تنفع معه مراسلة الإمام، فقط طمع وريث

الخيانة، وابن آكلة الأكباد بالخلافة... هناك جمع الإمام صحابته وأخذ يستشيرهم في الأمر، وكان هاشم من أولئك نفر الذين اعتمد عليهم أبو الحسن في مشورته وتثبيت دولته، فهب المرقال مندفعاً بإخلاص وعقيدة وقال:

" أما بعد يا أمير المؤمنين، فأنا بالقوم جد خبيرهم لك ولأشياحك أعداء، وهم لمن يطلب حرث الدنيا أولياء، وهم مقاتلوك، ومجاهدوك لا يبقون جهداً مشاحة على الدنيا، وضمنا بما في أيديهم منا، وليس إربة غيرها إلا ما يخدعون به الجهال من الطلب بدم عثمان، كذبوا ليسوا بدمه يثأرون، ولكن الدنيا يطلبون، فسر بنا، فإن أجابوا إلى الحق فليس بعد الحق إلا الضلال، وإن أبو إلا الشقاق فذلك الظن بهم، والله ما أراهم يبايعون وفيهم أحد ممن يطاع إذا نهى، ويسمع إذا أمر ".
بهذه المقالة الصغيرة كشف هاشم لإمامه عن حياة هؤلاء ونفسياتهم وما يضمرون. وصدق الإمام لأنه

أعرف بهم منه.
وزحف الإمام بجيشه إلى قتال أهل الشام، وفي
" صفين " عسكر الفريقان: الحق والباطل، وحجرت
الأشهر الحرم بين الطرفين، وكان في أثنائها يلتمس الإمام
الأمل بالنصح والمراسلة، عسى أن يلين معاوية، ولكن
كانت الإجابة بالنهاية له: " السيف بيننا وبينك، أو يهلك
الأعجز منا " .

ويأس الإمام من عودتهم إلى حظيرة الخير،
وصمم على مقاتلتهم، ودفع رايتهم العظيمة إلى هاشم
المرقال، وصف جيشه وتقابل الطرفان كل يوم يخرج
الإمام كتيبته للقتال وطال المقام فقرر الإمام الهجوم
العام.. وفي الصباح الباسم من أيام قتال صفين التحم
الجيشان في معركة عنيفة.

وسمع معاوية بهجمات هاشم، فحرض عمرو بن
العاص على مبارزته، فتقدم إليه يرتجز قائلاً:

لا عيش إن لم ألق يوما هاشما * ذاك الذي أجشمني المجاشما
ذاك الذي أقام لي المآتما * ذاك الذي يشتم عرضي ظالما
ذاك الذي أن ينج مني سالما * يكن شجا حتى الممات لازما
وتقدم إليه هاشم الخطى ثابتة، وهو يقول:
لا عيش أن لم ألق يومي عمرو * ذاك الذي أحدث فينا الغدرا
أو يحدث الله لأمر أمرا * لا تجزعي يا نفس صبرا صبرا
ضربا هذا ذيك، وطعنا نذرا * يا ليت ما تجنى يكون قبرا
ولكن عمرو أنى له أن يقف أمام سيف هاشم، ذلك
الذي طالما كشف الكروب عن المسلمين في الحروب،
وانهزم عمرو إلى فسطاط معاوية خائفا ووجلا.

وضحك معاوية ملء شذقيه وقال: " ما بالله يا أبا عبد الله قد مزق الرعب وجهك ".
واعْتَظ ابن العاص من هذه السخرية اللاذعة، فالتفت إليه بغضب قائلاً: " إذا كنت لا تخشاه، فما بالك فررت من سيف المرقال، ودونك المدججون بالسلاح، وقد جف ريقك وغارت عينك، وفررت من وسط القوم كما يفر من منظر الأسد؟! ".
ومعاوية ذلك الانسان الداهية، لا يغضب من حديث ابن العاص، وإن كان فيه مغمز له.
ولكن لم يترك لابن العاص سخريته، فما حمى الوطيس بين الطرفين، وهاشم يرقل بالراية إرقالا وسط الأعداء، وهو وعدة من أبطاله هدفهم معاوية، يدك الصفوف التي وقفت دونه ليصل محمله، واضطرب معاوية أشد الاضطراب، وأرسل إلى ابن العاص يقول له: " ويحك أن اللواء اليوم مع هاشم بن عتبة وقد كان من قبل يرقل به إرقالا، وإنه إن زحف به اليوم زحفا، إنه ليوم

طويل لأهل الشام، وإن زحف في عنق من أصحابه،
أنآي لأطمع أن تقتطع. فليبرز إليه كل كمي شديد البأس،
واجعل عليهم ابنك عبد الله ."

إن الحقد الذي يتمتع به معاوية، يختلف عن كل
أنواع الحقد فالرجل وهو في ساعة المحنة لم يغفر لابن
العاص سخريته به، فحاول أن يأخذ الثأر منه بإرسال
ولده عبد الله، وهو يعلم إنه لا يقوى على مقابلة هذا
البطل، ولكنه الحقد ولكنه الثأر.

واضطرب ابن العاص أن يرسل هذه الكتيبة بإمرة
ولده تلبية لطلب سيده، ولكنه ما كاد يلمح المرقال
يستقبلهم بسيفه ويحصدهم حتى اهتز واضطرب، وأخذ
لا يستقر على جواده وهو ينادي: ولدي... ولدي...
والتفت إليه معاوية ضاحكا قائلا: اسكت لا
يسمعك الأعداء فتشمتهم بنا، وهم على مقربة منك،
سيعود ولدك صبيرا صبيرا، فإنه لا بأس عليه...
ولكن عمرو بن العاص ما كان يعي حديث

معاوية، بل التفت إليه كالمجنون، وهو يصرخ: ليته كان يزيد، وأراك كيف تصبر... يا معاوية تركت ولدك في الشام يمرح، وجئت بأولادنا إلى ساحة الحرب، وتبعناك ثم أتريد أن تبتئنا.

وعاد عبد الله هاربا يجر أذيال الخيبة والفشل، فقد تمكن من الفرار من سيف المرقال، واستقبله أبوه وهو يهدئ روعه ويخفي فشله: " لا عليك يا ولدي فقد سبقك أبوك بالهرب من سيف هذا البطل "

وطاف الإمام بين أصحابه يشجعهم على القتال، ويحرضهم على الشهادة، ودارت الحرب بأشد ما شاهدها هاشم في حياته من قسوة وعنف، وامتد الليل بظلامه، والقتال بعد قائم لم تخف سورتها إلا بعد أن يتجاوز الليل، ومع الفجر اجتمع الإمام بقيادة جيشه: الأشر، وعمار، والمرقال، يشرح لهم خطته العسكرية، ووجه هاشم إلى القلب، وكان ما أراد لقد صمد هاشم في القلب وقد فر من فر، وجندل من جندل.

ولحق به الإمام، وهو يصرخ به من خلفه: " يا هاشم حتى متى تأكل الخبز، وتشرب الماء " والتفت هاشم فرأى سيده فتوقف قليلا ريثما تسلم منه لواءه الخاص، وقال له: أريد هذا أن أراه يرفرف في قلب الأعداء فأجابه بكل ثقة واطمئنان: " والله يا أمير المؤمنين لأجهدن على ألا أرجع إليك أبدا ".
وتقدم إلى الميدان، وهو يقتحم صفوف أهل الشام، وقف معاوية مشدوها ذاهلا بهذا المنظر، وصاح بدون شعور: أعور بني زهرة قاتله الله... وهاشم يرقل بالراية إرقالا نحو معسكر طاغية أهل الشام، والشمس قد مالت إلى المغيب.

وطاف هاشم بجيشه يخطب فيهم، ويقول: " إلا من كان يريد الله والدار الآخرة فليقبل، لا يهولنكم ما ترون من صبرهم فوالله ما ترون منهم إلا حمية العرب، وصبرها تحت راياتها وعند مراكزها، وإنهم لعلى الضلال، وإنكم لعلى الحق. يا قوم اصبروا، وصابروا،

واجتمعوا، وامشوا بنا على توأدة رويدا، ثم تأسوا
وتصابروا، واذكروا الله ولا يسلم رجل منكم أخاه، ولا
تكثروا الالتفات، واصمدوا صمدهم، وجالدوهم
محتسيين حتى يحكم الله بيننا، وهو خير الحاكمين ".
ثم تقدم وهو يرتجز:

أعور يبغي نفسه خلاصا * مثل الفنيق لايسا ولاصا
قد جرب الحرب ولا أناصا * لا دية يخشى ولا قصاصا
كل امرئ وإن كبا وحاصا * ليس يرى من موته مناصا
ودب الذعر في أهل الشام، وخاف معاوية على
أمره فجمع جيشه، وتوجهت النفس المطمئنة إلى بارئها
راضية مرضية فكانت حومة الميدان، وكان أن فاجأ أحد
من الشاميين هاشما بطعنة في بطنه فشققها، ولكن بطولة
هاشم طغت عليه، فقبض على طعنته بإحدى يديه وبيده

الأخرى اللواء، وقاوم أهل الشام مقاومة عنيفة، ولم يترك فرصة يفهم بها الشاميون بأمره وبقي على هذا الأمر وقتا طويلا من النهار حتى وقعت عينه على ولده عبد الله فطلبه فقال له ولده: لماذا لم تتقدم يا أبتاه بالجيش. وكان جواب المرقال أن رفع يده عن بطنه، فخرجت أمعاؤه فسقط، وكادت تحدث المشكلة، لولا موقف ولده عبد الله العظيم، فقد تناول الراية، وقفز على أعدائه، وهو يصبر إخوانه وصبحة، ثم وقف فيهم خطيبا قائلا:

" أيها الناس، إن هاشما عبدا من عباد الله الذين قدر أرزاقهم، وكتب آثارهم، وأحصى أعمالهم، وقضى آجالهم فدعاه ربه الذي لا يعصى فأجابه، وسلم الأمر لله وجاهد في طاعة ابن عم رسول الله، وأول من آمن به، وعرف دين الله المخالف لأعداء الله، المستحلين ما حرم الله، الذين عملوا في البلاد بالجور والفساد، واستحوذ عليهم الشيطان، فزين لهم الإثم والعدوان، فحق عليكم

جهد من خالف سنة رسول الله وعطل حدود الله،
وخالف أولياء الله فجودوا بمهج أنفسكم في طاعة الله في
هذه الدنيا، تصيبوا الآخرة، والمنزل الأعلى والملك الذي
لا يبلى، فلو لم يكن ثواب، ولا عقاب، ولا جنة ولا نار
لكان فالقتال مع علي أفضل من القتال مع معاوية، ابن
أكلة الأكباد فكيف، وأنتم ترجون ما ترجون ".
وهكذا قفز عبد الله بن هاشم إلى قمة البطولة،
يستمد من جهاد أبيه وإخلاصه، ومن بطولة أبيه وفداءه،
ومن عقيدة أبيه ودعوته، ما دفعه إلى هذا الموقف.
ويقف الولد المثكول على جسد أبيه الممزق،
فيرتجز:

أهاشم بن عتبة بن مالك * أعزز بشيخ من قریش هالك
تخبطه الخيالات بالسنايك * في أسود من نقعهن حالك

أبشر بحور العين في الأرائك* والروح والريحان عند ذلك
ويدفع بالراية في صفوف أعداء الله بوحى من
عقيدته وإيمانه ولم يتلكأ في الميدان شعورا بالموقف الدقيق
الذي سينال المسلمين لو عرفوا مقتل أبيه لهذا اندفع يرقل
بالراية في صفوف الأعداء ليوهم الجيش أن هاشما
بالميدان.

وفعلا كان، ولم يتضعضع الموقف.

ويقف الإمام في النهاية على أجساد عمار وهاشم،
وصحبه وصلى عليهم ويودعهم بدموعه الحارة النقية،
ويرثيهم بعواطفه الكبيرة وهو يقول: " رحم الله هاشما
وصحبه، رجال عرفوا الحق فجاهدوا في سبيله، وماتوا
دونه "

ويصرع هاشم في ساحة الميدان، ويذهب عبد الله
بعد أبيه والزمان يدور، ويسجل في صفحاته سطورا
خالدة تشرق بالعزة والكرامة، وتشع بالإيمان

والإخلاص!!
وهكذا كان أبطال مدرسة الإمام علي (عليه السلام) أفذاذا
وعمالقة في جهادهم، وحياتهم.
عبد الله بن هاشم المرقال
على ذكر عبد الله بن هاشم المرقال (رضوان الله
عليهما)، فقد ذكر السيد هاشم معروف في كتابه
الانتفاضات الشيعية بقوله:
لقد كان عبد الله بن هاشم المرقال في طليعة أولئك
الأبدال الذين خطط لهم معاوية ودعيه ابن سمية
لاستئصال شيعة علي (عليه السلام) لأنه كان من أعيانهم وزعمائهم
الأبطال الذين لم يخضعوا لغير الحق، ولا يهابون أحدا على
حساب المبدأ والعقيدة، وممن يرون أن البراءة من علي
وآل علي (عليه السلام) يعني البراءة من الإسلام ومن محمد (صلى الله عليه وآله)
ورسالته، ومهما نسي معاوية فلم ينس مواقف أبيه هاشم

المرقال في صفيين وبطولاته التي كادت أن تؤدي إلى هزيمة جيشه، لولا مكيدة رفع المصاحف على رؤوس الأسنة والرماح التي دبرها عمرو بن العاص.

لقد كانت الشهادة تنتظر عبد الله بن هاشم المرقال كما ينتظرها هو بنفس مطمئنة، وعزيمة ثابتة صادقة لا تزحزحها العواصف، ولا تزيلها القواصف، كما كان أبوه هاشم المرقال ينتظرها بنفس الروح والعزيمة، كتب معاوية إلى ابن سمية يطلب منه إلقاء القبض عليه ليتشفى بقتله والتنكيل به كما تشفت أمه هند بنت عتبة بكبد سيد الشهداء حمزة والتمثيل به.

وجاء في الرسالة التي كتبها معاوية إلى زياد ابن سمية: أما بعد فانظر عبد الله بن هاشم المرقال فشد يده إلى عنقه وابعثه إلي، ولما وصلت رسالته معاوية أوعز إلى جلاوزته بالبحث عنه في كل زاوية وإلقاء القبض عليه، وحينما أحس هذا عبد الله بن هاشم بذلك التجأ إلى حي من أحياء الكوفة واختفى عن الناس في أحد بيوته، ولما

علم أحد المرتزقة شد الرحال إلى معاوية في الشام ليخبره
بمكان عبد الله بن هاشم وليحصل على الجائزة، فكتب
معاوية من فوره رسالة إلى زياد ابن سمية جاء فيها:

أما بعد فإذا أتاك كتابي فاعمد إلى حي بني مخزوم
وفتشه بيتا بيتا حتى تأتي دار فلانة المخزومية فاستخرج
عبد الله بن هاشم المرقال منها وأحلق رأسه وألبسه جبة
من الشعر وغل يده إلى عنقه واحمله إلي على قتب بغير
وطاء ولا غطاء.

وعندما وصل إليه الكتاب قام زياد بتفتيش الحي
بيتا بيتا وظفر به في أحد بيوته فأرسله إلى معاوية على
الكيفية التي أرادها ووصل عبد الله إلى دمشق في يوم
الجمعة، اليوم الذي يجتمع فيه أشرف قريش وجوه أهل
الشام والعراق في أسبوع، وأدخل ابن هاشم على معاوية
مكبلا بالحديد ووقف بين يديه فعرفه لأول نظرة، ولم
يعرفه ابن العاص، فقال له معاوية: هذا الذي كان أبوه في
صفيين يقول:

إنني شريت النفس لما اعتلا * وأكثر اللوم وما أقل
أعور يبقى أهله محلا * قد علج الحياة حتى ملا
لا خبر عندي في كريم ولي
فتمثل عمرو بن العاص حينما عرفه به معاوية بقول
القائل:

وقد ينبت المرعى على دمن الشرى * وتبقى حزازات النفوس كما هيا
والتفت عمرو بن العاص إلى معاوية قائلاً: دونك
الضب المضب فاشخب أوداجه على إثباجه، ولا ترده إلى
أهل العراق فإنه لا يصبر على النفاق وهم أهل غدر
وشقاق وإن له هوى سيؤديه ورأيا يطغيه وبطانة ستغويه.
فانبرى إليه عبد الله كالأسد الغضبان غير هيب
ولا وجل قائلاً: يا عمرو إن أقتل فرجل أسلمه قومه،
وأدركه يومه، أفلا كان هذا منك إذ تحيد عن القتال ونحن

ندعوك إلى النزال وأنت تلوذ بشمال النطاق وعقائق
الرصاف كالأمة السوداء، والنعجة القوداء لا تدفه يد
لامس (١).

واستمر الحوار الحاد بين ابن العاص وابن المرقال،
وابن العاص ينهزم بين يديه ويراوغ، ثم يحاول أن
يستعيد مكانته بالتضليل والاحتيال والافتراء على
عبد الله وأبيه، ولكن عبد الله كان يطارده أينما ذهب
ليكشفه على واقعه الكريه الممقوت أمام ذلك المجتمع الذي
ضم أشرف قريش ووجهاء أهل العراق، والشام وقال
له:

يا عمرو إنا قد بلوناك ومقاتتك فوجدنا لسانك
كذوبا غادرا خلوت بأقوام لا يعرفونك، وجنودا لا
يساومونك ولو رمت المنطق في غير أهل الشام لجحظ
عليك عقلك وتلجلج لسانك، واضطرب فخذاك

(١) النطاق: الماء القليل، والعقائق: سهام الاعتذار، والرصاف:
الحجارة التي توضع عند مسيل الماء.

اضطراب القعود الذي أثقله جملة.
وهنا أدرك معاوية أن أبي العاص ساعده الأيمن قد
انهار وانكشف على حقيقته، ورأى الجماهير تتطلع إلى
ابن هاشم بإعجاب وإكبار فقطع عليهما الحوار قائلاً: أيها
عنكما وأمر بإرجاع عبد الله بن هاشم إلى السجن وبقي فيه
يتعرض لأسوأ أنواع التعذيب النفسي والجسدي
والإرهاق حتى لفظ أنفاسه الأخيرة.
وقد حرص عمرو معاوية على قتله وذكره بمواقف
أبيه هاشم في صفين وغيرها في أبيات ذكرها المؤرخون
جاء فيها:
أليس أبوه يا معاوية الذي * أعان عليا يوم حز الغلاصم
وهذا ابنه والمرء يشبه شيخه * ويوشك أن تقرع به سن نادم
فسلام عليه وعلى أبيه يوم ولدا ويوم جاهدا ويوم
استشهدا ويوم يبعثا أحياء.

مصادر البحث

معجم رجال الحديث ١٩ / ٢٤٥ .

الأعلام ٨ / ٦٦ .

الاستيعاب ٢ / ٦١٦ .

أسد الغابة ٥ / ٤٩ .

أعيان الشيعة ١٠ / ٢٥٠ .

الطبري ط بيروت ٣ / ٩٤ .

مدرسة الإمام علي ١٢٣ .

الانتفاضات الشيعية .

بسم الله الرحمن الرحيم
* (إن الله مع الذين اتقوا * والذين هم محسنون) * (١)

رشيد الهجري

الحواريون

خريجو مدرسة: الرسول الأعظم: وأمير المؤمنين

صلوات الله عليهم أجمعين

(١) النحل: ١٢٨.

رشيد الهجري
فمن هؤلاء الأبطال " رشيد الهجري " الذي هو
أحد حوارى الإمام على (عليه السلام) وأصفيائه، وأحد أعلام
عصره، فى ولائه، ودينه وعلمه، وتقواه، وثباته على
المعاناة، حتى لقبه الإمام (عليه السلام) وسماه " رشيد البلىا ".
صحب هذا التابعى العظىم " رشيد الهجرى " إمامه
أمىر المؤمنىن (عليه السلام) وأتبعه اتباع الفصىل أثر أمه، والظل
لصاحبه برهة من الزمن حتى التحق بالرفىق الأعلى، ولم
ىتح لغيره إلا نادرا مثل هذه الفرصة، وكانت له عند إمامه
منزلة مقربة رفىعة لىست لأحد سواه، إلا للحوارىىن من
أمثال مىثم التمار، ومالك الأشتر وكمىل بن زىاد،
وحجر بن عدى، ومحمد بن أبى بكر، وغيرهم وقد بلغ من
الاطمئنان به أن جعله موضع بعض أسراره وقد كشف له
بعض الأمور المهمة التى ربما لا ىتحملها غيره منها علم
المنایا والبلىا، وما سىجرى علیه وعلى أصحابه من أمور

عظام وما يلاقيه من معاناة وتعذيب وإبادة.
وأول عمل قام به الدعي زياد ابن أبيه حينما دخل
الكوفة أميراً عليها بعد البصرة تتبع شيعة علي ومطاردتهم
بكل ما يملك من سبل البطش والتنكيل لأنه الخبير بهم
حيث كان من أصحاب الإمام علي (عليه السلام) حتى وصل الدور
إلى البطل الصامد " رشيد الهجري " وقد وُصف الطاغية
جميع أجهزة الدولة بما فيهم جواسيسه وعيونه والمرترقة
الذين يلحسون قصاعه لمطاردة " رشيد الهجري "
والقبض عليه وجلبه مخفورا إليه، ولم يهدأ له بال ولا قرار
حتى يلقي عليه القبض لقتله والتنكيل به.
فصار " رشيد الهجري " ينتقل من دار إلى دار بين
أصحابه مستترا بهم ومعرضا لهم للقتل والإبادة من قبل
السلطة العاشمة.

حتى ساقه القدر أن دخل دار صديقه أبي أراكة،
وما أن شاهده هذا حتى انتفض رعبا وفزعا، وعلت
الدهشة وجهه، وجف ريقه، وفغر فاه، وخفض صوته
وهو يدير طرفه في الجالسين عنده، ليستطلع خبرهم هل

شاهده أحدهم عندما دخل رشيد الهجري داره؟
ونهض أبو أراكة من مجلسه بعد أن خرج زواره
والأرض تميد به، ودخل على زوجته وأسنانه تصطك من
الخوف والرعب، وخفت زوجته إليه مندهشة من حاله
لتستطلع الخبر وتسأله عما دهاه؟ وتمد أذنها مشدوهة إلى
فم زوجها المرعوب ليهمس فيها، قائلاً وهو يشد عليها
بأطراف أصابعه: إن رشيد الهجري دخل بيتنا ليختفي فيه
عن عيون زياد الذين ضايقوه وتفغر الزوجة الوالة فاهها
مدهوشة ذاهلة تلطم خدها بيدها.
ثم نهض أبو أراكة إلى " رشيد الهجري " وقال له
وقد تحامل على نفسه ويحك - يا رشيد - ما دهاك قتلتي،
وأيتمت ولدي وأهلك عيالي.
قال رشيد: وما ذاك؟
قال أبو أراكة: والغيط يكاد يخنقه لا تتجاهل ما
صنعت بي؟ أأست المطلوب لزياد والي الأمويين؟
وعيونه تبحث عنك في كل مكان فكيف تدخل علي داري
في وضح النهار؟

قال رشيد: أرجو أن لا يكون قد رأني أحد يخشى منه. وجرى نقاش حاد بينهما، ليعدل رشيد عن رأيه ويساير السلطة وينجو بنفسه وعياله قائلًا له: يا رشيد، أما كان الأجدد بك أن لا تلقي بنفسك في هذه المهالك فما أنت ومعارضة الأمويين، وأنت تعلم أن معاوية لا يترك الأمر بالهين، وهو لا يهمله أن يقتل نصف المسلمين في سبيل استقامة الحكم له، وأني أنصحك أن تقلع عن هذه المخاطر، وتعود إلى بيتك ترعى أطفالك، وتحضن أهل بيتك.

إنتهى أبو أراكة من كلامه وسكت، ولم يجبه رشيد بشيء، وتصور أبو أراكة أن سكوت رشيد دليل على قناعته وعدوله عن رأيه وقبول كلامه، فالتفت إليه وقال: أتعدني يا رشيد بأن تقلع عن معارضتك معاوية والحكم الأموي؟

ضحك رشيد في قرارة نفسه من سداجة صاحبه الذي يكيل له النصيح وهو لا يعلم بأن على الرجال المؤمنين المخلصين واجبا لا يمكن الفرار منه، ذلك هو كلمة

الحق بوجه سلطان جائر، والثبات على المبدأ والإيمان
والعقيدة والولاء مهما كلفه الأمر.
والتفت رشيد إلى مضيفه، وهو يتصنع الهدوء
قائلاً: جزاك الله خيراً يا أبا أراكة على نصيحتك، ولكن
أما تشعر معي أن هذا الحكم الأموي القائم غير جميع
مبادئ الإسلام ومعالمه، وأفقدنا العدالة الاجتماعية التي
ضحى من أجلها الرسول الأكرم (صلى الله عليه وآله) بالغالي والنفيس،
وكذلك ابن عمه علي بن أبي طالب (عليه السلام) والعدد الكثير من
أصحابهما البررة من قادة المسلمين؟ أتكر ذلك يا أبا
أراكة؟ إن العهد الأموي قد غير وضرب معالم الإسلام
وأحكام الدين من أساسه؟
أجابه أبو أراكة بصوت خافت متقطع هذا صحيح
وقد أكون مؤيداً لك في بعضه، ولكن ما أنت والدخول في
هذا الأمر، أما كان في البلد غيرك يحمل راية المعارضة
بوجه الأمويين.
وأشفق رشيد على هذا المسكين المخلوق وانحبت
أنفاسه من هذا الرجل الذي يريد أن يميت جذوة الثورة

في نفسه، وتؤكد له أن بقاءه سيميت الرجولة والشهامة
والنخوة في قلبه، ليحل محله الخوف والرعب والفرع،
وربما لا يمكنه الصمود والثبات للحوادث مستقبلا، وربما
ينهار أمام عيون الطاغية الوالي زياد، فصمم على مغادرة
دار مضيفه، وفي ظلام الليل تسلل رشيد خارجا من
البيت وترك صورته متجسدة في ذهن أبي أراكة، كشبح
يعتريه كلما خطرت له خاطرة في يقظة وحلم.
ومضت الأيام تلو الأيام، وزياد ابن أبيه ما انفك
يبحث عن رشيد ولا يلين عن مطالبة شرطته وجلاوزته
وعيونهم، بالتفتيش عن رشيد الهجري ومطاردته والقبض
عليه، هذا الانسان الذي أقظ مضجعه واعتبره خطرا على
الحكم الأموي، وأخيرا وفي غسق الليل انقضت عليه
أيدي الجلاوزة والقي القبض عليه حينما كان رشيد يحاول
أن يغير مكانه، وانتشر الخبر وتسابق الناس إلى مجلس
زياد مع إشراقة الشمس لتعرف ما يكون من مصير هذا
المعارض الصلب العنيد.
أدخل رشيد الهجري على زياد بن أبيه مقيدا

بالحديد وقد امتدت الأعناق، واتجهت الأبصار تستقبل
هذا الانسان الذي ما وهن ولا استكان لإرهاب الطاغية
الجبار زياد ولما أوقف بين يديه، ساد سكون عميق،
وحبست الأنفاس، وكادت الرهبة تمزق النفوس.
ونظر زياد إلى رشيد وكادت نظراته أن تبتلعه من
شدة الحقد عليه، ثم قال وهو يصك أسنانه من الغيظ: إيه
يا رشيد قم واخطب الناس واذكر فضائل بني أمية وأعلن
براءتك من علي ودينه ومن معارضتك لآل أبي سفيان،
وإلا فبيني وبينك السيف.
طفرت على ثغر رشيد ضحكة ساخرة، مزقت هيبة
زياد وكبرياءه فامتعض منها زياد واستشاط غضبا
وصرخ به ما يضحكك يا كافر؟
أجابه رشيد بكل جرأة وهدوء، يضحكني يا زياد
طلبك مني أن أتبرأ من سيدي علي بن أبي طالب ابن عم
الرسول، وزوج البتول الطاهرة، والكاشف عن وجهه
الكربة، والحاكم بالسوية والعدالة.
وقطب زياد جبينه مغتاضا، وصرخ محتدما: كفى،

كفى، لا تثقل أسماعنا بذكر من لا نحب، إذا كنت مصرا على قولك فسوف تقتل، فأمعن رشيد في ضحكة ساخرة مرة ثانية، مزقت قلبه حقدا وكمدا.

ثم التفت رشيد إلى زياد رابط الجأش ثابت الجنان وقال: يا زياد إن الذي يبلغ به هذا الحد من المعارضة، يحسب لموقفه ألف حساب، وإن العقاب الذي ستنزله بي من قتل وتعذيب قد وضعتة نصب عيني من الساعة التي رأيت فيها معاوية يتربع على سدة الحكم، فيمسخ معالم الإسلام ويشوه حقائقه، ليعيدها جاهلية بأحكامه التي لا تستند إلى قرآن ولا سنة، فالموت أهون علي من أن أرى هذا الوضع الفاسد الذي تتحكمون به، وسنقف غدا بين يدي الجبار الحكم العدل ليفصل بيننا، وسترى لمن الفلج يومئذ، يا ابن سمية.

ويصك كلام رشيد أسمع زياد، ويضيق به ذرعا، ثم يلتفت زياد إلى أحد جلاوزته وجلاديه، والحقده والغیظ يمزق قلبه، قائلا له وبلهجة كلها قسوة وحنق يأمره أن يقطع يدي أسيره رشيد ورجليه، ليتلذذ

بتعذيبه، ويأنس بصرخاته وأنيته، ثم يلتفت إلى جلسائه
المرتزقة ويقول لهم لا أريد أن يموت هذا الرجل براحة،
فليعذب بأشد العذاب، حتى أشفي غليلي بأنيته وصرخاته
أليس كذلك؟ فترتفع الأصوات الناقمة المناقمة المثقلة
بالخزي والعار من هنا وهناك من أطراف مجلس زياد
وتهز رؤوسها منحنية بذل العبودية، مؤيدة الظلم
والتعسف والغدر، طمعا بما عنده من مال ومنصب،
ويقولوا فعلا يا أمير، فليعذب محب أبي تراب كما تشاء.
ولم يسكت رشيد الهجري على رغم ما ألم به من
أذى وتعذيب روحي وجسدي بل كان يستقبل كل ذلك
بصبر وثبات وطول أناة، واستمر يمزق الأمويين ويذكر
مثالبهم ويظهر مخازيهم وموبقاتهم وأعمالهم السيئة
وحقدهم على الرسول الكريم وآله الطاهرين، وعداءهم
الصارخ للإسلام وهو يشخب دما من أعضائه المقطعة.
وعلى مقربة من هذا المنظر المفجع تقف امرأة
وقورة لا تتجاوز الثلاثين من عمرها تشاهد مع
المشاهدين التعذيب الوحشي والحكم الجائر ينصب على

أبيها، واللوعة لا تفارقها، لكنها كانت ثابتة الجنان،
وتقدمت بكل وقار ورزانة لم ترعزها الأهوال، ولم
تذهلها جسامة الحادث، فهوت على البقية الباقية من
جسد أبيها تقبله وتقبل رأسه الشريف ثم هوت إلى
الأرض تلتقط أعضاء أبيها المقطعة الواحدة بعد الأخرى
التي فرقها زياد الدعي لتجمعها إلى صدرها وبين يديها
وتقبلهما، قائلة يا أبتاه هل تجد ألما مما أصابك؟ فيجيبها
الأب الصابر الصامد الثابت على الإيمان والذي يعاني من
ألم جراحه المقطعة: لا يا بنية أبدا إلا كالزحام بين الناس،
ثم حملت البقية الباقية من ذلك الجسد المقطع قربان العقيدة
لتخرجه من دار الإمارة وقصر الطاغية الدعي زياد.
وما أن وقعت أبصار الناس عليه، حتى
تجمعوا حوله ينظرون إليه ويسألونه عما جرى عليه،
فيحدثهم الجريح ما شاء الله من الزمان، وهو يعاني من
آلامه ويشخب من جراحه دما عبيطا، فكشف لهم حقيقة
أساليب الحكم الأموي، ومروقهم من الدين، وأظهر
مثالبهم ومخازيهم، حتى وصل الخبر إلى الدعي زياد لعنه

الله وشق عليه ذلك، فأمر بقطع لسانه، ليمنعه من الحديث،
ويمعن في تعذيبه، ويبقى بعد ذلك فترة قصيرة إلى الليل
حتى صعدت روحه الطاهرة إلى ربها تشكو من ظلم
الظالمين وجور الحاكمين من بني أمية.
فسلام عليه يوم ولد، ويوم أسلم وجاهد، ويوم
استشهد، ويوم يبعث حيا ليلتحق بركب الشهداء
والصديقين وحسن أولئك رفيقا.
ذكر السيد الخوئي في معجم رجال الحديث (١) قال:
رشيد الهجري من أصحاب علي (عليه السلام) كما عده الشيخ في
أصحاب علي والحسن والحسين، وعلي بن الحسين (عليهم السلام).
وعده في الاختصاص: من أخصاء أصحاب أمير
المؤمنين (عليه السلام) ومن السابقين المقربين، وهو ممن قتل في حب
علي (عليه السلام)، قتله ابن زياد، وقيل قتله زياد بن أبيه، ولا
ريب في جلالة قدره وقربه من أمير المؤمنين (عليه السلام) وهو من
المتسالم عليه بين الموافق والمخالف، ويكفي ذلك في عظمته.

(١) معجم رجال الحديث ٧ / ١٩٠.

عن أبي حيان البجلي، عن قنوات بنت رشيد الهجري، قال: قلت لها: أخبريني ما سمعت من أبيك، قال: سمعت أبي يقول: أخبرني أمير المؤمنين (عليه السلام) فقال: يا رشيد كيف صبرك إذا أرسل دعي بني أمية فقطع يديك ورجليك ولسانك، قلت: يا أمير المؤمنين أحر ذلك الجنة؟ فقال: يا رشيد أنت معي في الدنيا والآخرة، قلت: فوالله ما ذهبت الأيام حتى أرسل إليه عبيد الله بن [مرجانة] الدعي بن الدعي، فدعاه إلى البراءة من أمير المؤمنين (عليه السلام)، فأبى أن يبرأ منه، فقال له الدعي: فبأي ميته قال لك صاحبك تموت؟ فقال له: أخبرني خليلي إنك تدعوني إلى البراءة منه، فلا أبرأ منه، فتقدمني فتقطع يدي، ورجلي، ولساني، فقال: والله لأكذبن قوله فيك، فقدموه فاقطعوا يديه ورجليه، واطرخوا لسانه، قالت: فحملت أطراف يديه ورجليه فقلت: يا أبت هل تجد ألما مما أصابك؟ فقال: لا يا بنية إلا كالزحام بين الناس، فلما احتملناه وأخرجناه من قصر الإمارة اجتمع الناس حوله، فقال: إيتوني بصحيفة ودواة أكتب لكم ما يكون

إلى يوم الساعة فأرسل ابن زياد الحجام حتى قطع لسانه فمات رحمه الله في ليلته. ذكرت هذا الحديث كما هو. وكان أمير المؤمنين (عليه السلام) يسميه رشيد البلايا، وقد ألقى إليه علم البلايا والمنايا، وكان في حياته إذا لقي الرجل، قال له: فلان أنت تموت بميتة كذا، وتقتل أنت يا فلان بقتلة كذا فيكون كما أخبر به رشيد ويقول: أمير المؤمنين، أنت رشيد البلايا أي تقتل بهذه القتلة، وكان كما قال الإمام علي (عليه السلام).

عن فضيل بن الزبير - بعد حذف السند - ما معناه خرج أمير المؤمنين (عليه السلام) يوماً إلى بستان البرني ومعه أصحابه، فجلس تحت نخلة يستظل بها ثم أمر بنخلة فلقطت فأنزل منها رطب، فوضع بين أيديهم فأكلوا فقال رشيد الهجري: يا أمير المؤمنين ما أطيب هذا الرطب؟ فقال: يا رشيد أما إنك تصلب على جذعها، فقال رشيد: فكنت أختلف إليها طرفي النهار أسقيها، ومضى أمير المؤمنين (عليه السلام) قال فجئتها يوماً وقد قطع سعفها، قلت: اقترب أجلي، ثم جئت يوماً فجاء العريف فقال: أجب

الأمير، فأتيته فلما دخلت القصر فإذا بنصف جذع ملقى،
والنصف الآخر قد جعل زرنوقا يستقي عليه الماء. فقلت:
ما كذبتني خليلي، فجئت حتى ضربت الزرنوق برجلي، ثم
قلت: لك غذيت ولي أنبت، ثم أدخلت على ابن زياد،
فقال: هات من كذب صاحبك فقلت: والله ما أنا بكذاب
ولا هو ولقد أخبرني إنك تقطع يدي ورجلي ولساني،
قال: إذا والله نكذبه؟؟ قطعوا يديه ورجليه، وأخرجوه،
فلما حمل إلى أهله أقبل يحدث الناس بالعظام وهو يقول:
أيها الناس سلوني فإن للقوم عندي طلبة لم يقضوها،
فدخل رجل على ابن زياد، فقال له: ما صنعت؟ فقال:
قطعت يديه ورجليه وهو يحدث الناس بالعظام، وقال:
فأرسل إليه ردوه، وقد انتهى إلى بابه فأمر بقطع لسانه
وصلبه ومات في ليلته رحمه الله.
وفي قاموس الرجال (١): وروى أعلام الوري عن
مجاهد، والشعبي، عن زياد بن النضر الحارثي، قال: كنت

(١) قاموس الرجال: ٤ / ٣٧١.

عند ابن زياد إذ أتى برشيد الهجري، - (رحمه الله) - فقال: ما قال لك صاحبك - يعني عليا (عليه السلام) - إنا فاعلون بك؟ قال: تقطعون يدي ورجلي وتصلبوني، فقال: والله لأكذبن حديثه! خلوا سبيله، فلما أراد أن يخرج، قال ابن زياد: والله ما نجد له شيئاً شراً مما كان قال صاحبه؟ اقطعوا يديه ورجليه واصلبوه فقال رشيد: هيهات؟ يا بن زياد، يبقى لكم واحدة عندي - يعني أنه أخبرني به أمير المؤمنين (عليه السلام) - قال ابن زياد: اقطعوا لسانه، فقال له رشيد: الآن والله؟ جاء تصديق خبر أمير المؤمنين (عليه السلام). قال الشيخ المفيد في الإرشاد (١): رواه عن ابن عياش، عن مجاهد، عن الشعبي، عن زياد بن النضر الحارثي قال: كنت عند زياد إذ أتى برشيد الهجري - إلى آخر الرواية - وهذا الخبر نقله المؤلف والمخالف عن ثقاتهم عمن سميناهم، واشتهر أمره عند علماء الجميع، وكذلك رواه ابن أبي الحديد، وكذا الذهبي وجعل صاحبه

(١) إرشاد المفيد: ١٧١.

زيادا.

ومما يرجح ذلك في صدر الحديث قول الإمام (عليه السلام):
" كيف صبرك إذا أرسل إليك دعي بني أمية، فقطع يديك
ورجليك ولسانك ".

ودعي بني أمية إنما كان زياد ابن أبيه " مجهول
النسب " ألحقه معاوية به لزنأ أبيه بأمه العاهرة سمية
بشهادة أبو مريم السلولي صاحب الخمارة بالطائف
وباعتراف أبو سفيان نفسه أمام عمر بن الخطاب في
خلافته وحكم معاوية بأن زياد بن أبي سفيان خلافا
لشريعة الإسلام وحديث النبي (صلى الله عليه وآله) حيث قال: " الولد
للفراش وللعاهر الحجر "، وأما عبيد الله فإنه كان ابن
دعيهم.

هذا ما عثرنا عليه من سيرة هذا البطل المؤمن
المجاهد الثابت الإيمان في بطون الكتب والمتفق عليه لا سيما
عند السيد الخوئي في معجم رجال الحديث (١)، والسيد

(١) معجم رجال الحديث ٧ / ١٩٠ - ١٩٢.

محسن الأمين في أعيان الشيعة (١)، والشيخ التستري في
قاموس الرجال (٢)، والشيخ الطوسي المعروف
بالكشي (٣)، وغيرهم من كتب التراجم والسير والحديث
فراجع.

مصادر البحث

رجال الكشي ٧٥ إلى ٧٩، ٤٠٩.

معجم الرجال ٧ / ١٩٠.

قاموس الرجال ٤ / ٣٦٨.

أعيان الشيعة ٧ / ٦.

من مدرسة الإمام علي للسيد محمد بحر العلوم ٩٥.

الانتفاضات الشيعية للسيد هاشم معروف الحسني

.٢٢٧

إرشاد المفيد ١٧١.

(١) أعيان الشيعة: ٧ / ٦.

(٢) قاموس الرجال: ٤ / ٣٦٨.

(٣) رجال الكشي ٧٥ إلى ٧٩ و ٤٠٩.